

الدكتور  
عبد الحلیم محمود

# الإمام الربانغ الزاهد عبد الله بن المبارك

١١٨ - ١٨١ هـ



دار المعارف

---

الناشر: دار المعارف ١٩١٩ كورنيش النيل - القاهرة - ج . م . ع .

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام  
على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى  
آله وصحبه ومن إتبَع هديه إلى يوم الدين .

﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ  
لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [صدق الله العظيم]  
( الكهف : الآية ١٠ )



قال الذهبي في تذكرة الحفاظ عن ابن المبارك:  
( والله إلى لأجبه ، وأرجو الخير بحبه :  
لما منحه الله من التقوى ، والعبادة ،  
والإخلاص ، والجهاد ، وسعة  
العلم ، والإتقان ، والمواساة ،  
والفتوة ، والصفات الحميدة ) .



## الفصل الأول

### تقدير أبن المبارك

جمع القرن الثاني للهجرة صفوة من خيار المؤمنين الذين كانوا قمة في العلم ، وكانوا قمة في الأخلاق الكريمة .

ولقد وحدثت السنة الشريفة بين مشاربهم ونزعاتهم .  
لقد كانت دراسة السنة في هذا العصر طابعاً يشبه أن يكون عاماً بين المثقفين ثقافة عالية ، ومن بين هؤلاء ثلاثة رجال جمع بينهم العلم وجمعت بينهم الصداقة .

أحدهم : سفيان الثوري رضى الله عنه ، وقد بلغت منزلته في الحديث أن كان يقال له : أمير المؤمنين في الحديث - وكان مسنده يحوى ثلاثين ألف حديث ، ومع ذلك فقد كان يقول : « ما حدثت - مما أحفظ - إلا بواحد من كل عشرة أحاديث »

وبلغت منزلته في مكارم الأخلاق أن كان قوة يضيء السبيل للحيارى والسالكين .

ولقد ألقى بنفسه في قوة وصدق وإخلاص في الحرب التي تدور - وهي تدور على العصور - بين الفضيلة والرذيلة .

لقد تعرض بالنصيحة الدائمة للشعب ، وتعرض بالنصيحة الدائمة للحاكم إلى أن ضاق بنصائحه أبو جعفر المنصور - كما يضيق بالنصح كل طاغية - فنادى : « إذا رأيتم سفيان الثوري فاصلبوه » ولكن الله

سبحانه حفظه من كل سوء بسبب إخلاصه ، ومات أبو جعفر وبقي  
سفيان الثوري - ولقد سئل مرة ابن المبارك : مَنْ أئمة الناس ؟ فقال :  
سفيان وذووه .

أما الثاني : فهو الفضيل بن عياض رضى الله عنه ، محدث ثقة ،  
روى له أئمة الحديث من أمثال البخارى ، ومسلم رضى الله عنهما ،  
وقد بلغ الفضيل القمة فى الورع وفى محاسبة النفس فى الدقيق من  
أمرها والجليل ، بحيث يكون كل عمل من أعماله خالصاً لوجه الله  
تعالى .

لم يقف بياب سلطان رغبة أو رهبة ، وإنما أتاه السلطان إلى عقر  
داره ، فكان استقباله للسلطان استقبال العالم المؤمن الورع الذى يحتر  
بالله ويثق فيه ويخشى الله ولا يخشى أحداً إلا الله .

وله - كصديقه سفيان الثوري - فى مجال الصلة بالسلطان حوادث  
أرضى فيها الله والفضيلة .

ومن تقدير ابن المبارك للفضيل ، قوله : قد جمعت علم العلماء  
قليس فيما جمعت أحب إلى من علم الفضيل بن عياض .  
وأما ثالث هؤلاء الصفاة : فهو عبد الله بن المبارك .

ومن تقدير سفيان الثوري والفضيل بن عياض له ، ما يلى :  
روى عمران بن موسى الطرسوسى قال : جاء رجل فسأله سفيان  
الثوري عن مسألة فقال له : من أين أنت ؟ . فقال : من أهل المشرق .  
قال : أو ليس عندكم أعلم أهل المشرق ؟ . قال : ومن هو يا أبا عبد الله ؟  
قال : عبد الله بن المبارك .

قال : وهو أعلم أهل المشرق ؟ قال : نعم ، وأهل المغرب .

وعن أحمد بن عبدة ، قال كان فضيل وسفيان ومشيخة جلوساً في المسجد الحرام ، فطلع ابن المبارك من الثنية ، فقال : سفيان : هذا رجل أهل المشرق .

فقال فضيل : هذا رجل أهل المشرق وأهل المغرب وما بينهما . ولا نحب أن نوازن بين هؤلاء الثلاثة ، ولا بين عبد الله بن المبارك وغيره من أفاضل عصره ، فإننا نجلهم عن أن نعقد موازنة بينهم ، فهم أهل للفضل وأهل للثناء .

وهؤلاء الأئمة وأمثالهم يجب علينا أن نوضح من سيرهم لشبابنا ما ينير الطريق المستقيم أمامهم ، إن سيرهم تضع شبابنا في جو إسلامي من ناحية الفكر ، وفي جو إسلامي من ناحية السلوك ، وسيرى شبابنا مثلاً علياً . يندُر أن يجد الإنسان ما يضارعها في تاريخ الغرب في ماضيه أو في حاضره .

لقد رسم الإسلام بطابعه - وما زال - طائفةً من الناس هم المثل العليا للإنسانية : استمدوا شعارهم من الجو الرهاني الذي يشع من القرآن الكريم ومن السيرة النبوية الشريفة فأسلموا وجوههم لله ، واستجابوا إلى ما رسمه الإسلام من سلوك مبني على إسلام القلب لله .

والأمة الإسلامية : أحوج ما تكون الآن إلى وضع الشباب ، بل ومن هم أسنُّ من الشباب ، في الجو الإسلامي الصادق .

والوسيلة السهلة الجذابة في ذلك إنما هي التحدث عن سيرة رجال الإسلام الصادقين أمثال مالك والشافعي وابن حنبل ، وأمثال الحسن البصري ، وعمر بن عبد العزيز ، وسفيان ، والفضيل ، وابن المبارك

والبخارى ، وعشرات غيرهم فى كل فن من فنون العلم ، وفى كل قمة من قمم الفضيلة .

ونعود إلى ابن المبارك ، وإذا كنا نمتنع عن الموازنة فإننا لا يسعنا إغفال تقدير العلماء لعبد الله بن المبارك سواء أكانوا فى عصره ، أم كانوا بعده ، وقبل أن نورد تقدير العلماء له نحب أن نقول إن الكثير من هذه التقديرات يمكن أن تقال فى أمير المؤمنين فى الحديث سفيان الثورى وفى الإمام الورع - القمة فى الورع - الفضيل بن عياض . ونحب أن نبدأ من هذه التقديرات بما أورده حاتم الجوهري فقال : حدثنا أسود بن سالم قال : كان ابن المبارك إماماً يقتدى به ، كان من أثبت الناس فى السنة ، إذا رأيت رجلاً يغمز ابن المبارك بشيء فاتهمه على الإسلام .

ونحب أن نقف عند هذه الكلمة ونتساءل : لماذا يتهم على الإسلام من يغمز عبد الله بن المبارك ؟ لماذا ؟ إن التعليل لذلك واضح من الجو الإسلامى كله ، إن الله سبحانه وتعالى يقول فى حديث قدسى من إخراج الإمام البخارى :

« من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب » وأولياء الله حدّ الله سبحانه صفاتهم ، إنهم :

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [يونس : الآية ٦٣] .

وقد كان الإمام ابن المبارك فى القمة من الإيمان ، وفى الدروة من التقوى ، فمن غمزه فهو فى حرب من الله ، وهو إذن متهم على الإسلام - ولكن الأمر ليس خاصاً بابن المبارك ، فإن كل من غمز

وليا من أولياء الله فإنه في حرب من الله سبحانه ، وهو بالتالي متهم على الإسلام .

إن بعض الناس يضيق بالفضيلة ذرعًا لأن نفسه أظلمت واستحبت الحياة الدنيا بشهواتها وأهوائها على الآخرة ، وهي لذلك تحب أن تلوث كل فاضل وتتنقص كل كامل ؛ ومن هنا كانت عداوة الأولياء ، وعداوة الأولياء هي عداوة لصفاتهم ، أي عداوة للإيمان وعداوة للتقوى فمن عاداهم اتهم في إسلامه .

وتقدير آخر صادر عن علم من أعلام العلم : إنه ابن عيينة يقول : « نظرت في أمر الصحابة ، وأمر ابن المبارك ، فما رأيت لهم عليه فضلا إلا بصحبتهم النبي ﷺ وغزوهم معه » .

إن الصحابة رضوان الله عليهم كرجال لا يفضلون ابن المبارك ، إنه كان مجاهدًا كما كانوا يجاهدون ، وكان مخلصًا كما كانوا مخلصين ، وكان عالمًا بالسنة ، وكان فاضلا .

بيد أن ابن عيينة حينما تحدث عن صحبتهم للنبي ﷺ وغزوهم قفز بهم في الفضل قفزة هائلة تقطع الرقاب دونها ؛ لقد اقتبسوا من أنوار رسول الله ﷺ كل بحسب استعداده ، ولقد قال رسول الله ﷺ فيهم فيما رواه عمران بن حصين رضي الله عنهما وأخرجه البخاري « خير أمتي قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » .

وقال صلوات الله وسلامه عليه في أبي بكر رضي الله عنه : « إن من أمن الناس على في صحبتته وماله أبا بكر ، ولو كنت متخذًا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن أخوة الإسلام ، ومودته » . وقال في عمر رضي الله عنه فيما رواه سعد بن أبي وقاص

رضى الله عنه قال : استأذن عمر على رسول الله ﷺ وعنده نسوة من قریش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته ، فلما استأذن عمر قمن فبادرن الحجاب ، فأذن له رسول الله ﷺ فدخل عمر ورسول الله ﷺ بضحك ، فقال عمر : أضحك الله سنك يا رسول الله ؛ فقال النبي ﷺ : عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي ، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب . فقال عمر : فأنت أحق أن يهين يا رسول الله ، ثم قال عمر : يا عدوات أنفسهن أتهينني ولا تهين رسول الله ﷺ ؟ فقلن : نعم . أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : إيهما يا ابن الخطاب ، والذي نفسى بيده ما ليك الشيطان سالكا فجا قط إلا سلك فجا غير فجعك<sup>(١)</sup> .

وقال في عثمان رضى الله عنه فيما روى عن السيدة عائشة رضى الله عنها أنها قالت : كان رسول الله ﷺ مضطجعا في بيتي كاشفا عن فخذه أو ساقه ، فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدث ، ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث ، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه ، فدخل فتحدث ، فلما خرج قالت السيدة عائشة رضى الله عنها : دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله ، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله ، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك ؟ فقال ﷺ : ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة<sup>(٢)</sup> .

وقال في الإمام على رضى الله عنه فيما رواه عامر بن سعد بن

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه الإمام مسلم .

أبي وقاص عن أبيه قال : رسول الله ﷺ لعل : « أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي<sup>(١)</sup> » .

وقال فيه أيضاً فيما رواه مسلمة قال : كان علي قد تخلف عن النبي ﷺ في خيبر وكان به رمد ، فقال أنا أتخلف عن رسول الله ﷺ ؟ فخرج علي فلحق بالنبي ﷺ ، فلما كان مساء الليلة التي فتحها الله في صباحها قال رسول الله ﷺ : لأعطين الراية أو ليأخذن الراية غداً رجل يحب الله ورسوله ، أو قال : يحب الله ورسوله يفتح الله عليه ، فإذا ما نحن بعلي وما نرجوه : فقالوا هذا علي ، فأعطاه رسول الله ﷺ الراية ففتح الله عليه<sup>(٢)</sup> .

وكان منهم سيف الله ، روى البخاري عن أنس رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ ، نعى زيداً وجعفرًا وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم ، فقال : أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذ جعفر فأصيب ، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب وعيناه تدرقان حتى أخذها سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم<sup>(٣)</sup> .

وحواري رسول الله ﷺ : عن جابر رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : إن لكل نبي حواري ، وإن حواري الزبير بن العوام<sup>(٤)</sup> . وما من شك في أن ابن عيينة لم يكن يقصد كبار الصحابة ، ومع ذلك فإن هذه الكلمة حينما تصدر عن ابن عيينة لها وزنها الكبير ،

- 
- (١) رواه مسلم .
  - (٢) رواه البخاري .
  - (٣) رواه البخاري .
  - (٤) رواه البخاري .

لأن ابن عيينة كان من أعلم الناس بالسنة ، وفضل الصحابة رضوان الله عليهم .

ولعل من أسباب هذه الكلمة ما يعلمه ابن عيينة من صفات كثيرة تحمل بها ابن المبارك ، فقد روى أبو حاتم عن إسحاق ابن عماد بن إبراهيم المروزي : نعى ابن مبارك إلى سفيان بن عيينة فقال : لقد كان فقيها عالماً عابداً زاهداً شيخاً شجاعاً شاعراً .

ولقد تحدث الكثير من كتب عن ابن المبارك عن إمامته ، والإمامة هنا تعنى الإمامة فى العلم ، فعن العمري يقول : ما رأيت فى دهرنا هذا أحداً يصلح لهذا الأمر إلا رجلاً أتانى إلى منزلى فأقام عندى ثلاثاً يسألنى عن غير ما يسألنى عنه أهل هذا الدهر ، فصيح اللسان ، إلا أن اللغة شرقية يكنى أبا عبد الرحمن ، معه غلام يقال له سفير ، فقلنا له : هذا عبد الله بن المبارك ، فقال : هكذا ينهى ، إن كان معى أحد يصلح لهذا الأمر فذاك ، قال عبيد - يعنى الاقتداء بالعلم » .

وعن عبد الرحمن بن مهدي قال : الأئمة أربعة : سفيان الثوري ، ومالك بن أنس ، وحامد بن زيد ، وابن المبارك » .

وعن المسيب بن واضح قال : سمعت أبا إسحاق الفزاري يقول : « ابن المبارك إمام المسلمين » ، « ورأيت أبا إسحاق بين يدي ابن المبارك قاعداً يسأله » .

وقال العمري : ابن المبارك يصلح لهذا الأمر - فقال له رجل : أى شيء ؟ قال : الإمامة .

ولكنها أيضاً تعنى الإمامة فى الفضل ، فهو عالم ، فاضل ، كما تحدث

المؤرخون عن علمه فإنهم تحدثوا عن فضله ، بل إنهم كانوا يعدون صفاته الكثيرة المبررة لإمامته ومن ذلك :

قال الحسن بن عيسى : اجتمع جماعة من أصحاب ابن المبارك مثل ابن موسى ومخلد بن حسين وغيرهما فقالوا : تعالوا حتى نعد خصال ابن المبارك من أبواب الخير ؛ فقالوا : جمع العلم ، والفقه ، والأدب ، والنحو ، واللغة ، والشعر ، والفصاحة ، والزهد ، والورع ، والإنصاف ، وقيام الليل ، والعبادة ، والحج ، والغزوة ، والفروسية ، والشجاعة ، والشدة في بدنه ، وترك الكلام في ما لا يعنيه ، وقلة الخلاف على أصحابه .

وقال الحاكم : « هو إمام عصره في الآفاق ، وأولاهم بذلك علما وزهدا وشجاعة وسخاء » .

وقال ابن حبان في الثقات : كان فيه خصال لم تجتمع في أحد من أهل العلم في زمان في الأرض كلها .

وعن العباس بن مصعب قال : جمع عبد الله بن المبارك ؛ الحديث والفقه والعريية ، وأيام الناس ، والشجاعة والتجارة والسخاء والحمية عند الفراق .

وقال إسماعيل بن عباس : ما على وجه الأرض مثل ابن المبارك ، ولا أعلم أن الله خلق خصلة من خصال الخير إلا وقد جعلها فيه .  
وبقى بعد ذلك التقدير العام لابن المبارك ، يقول علي بن المديني : « انتهى العلم إلى ابن المبارك ومن بعده إلى يحيى بن معين » .

ولقد سئل يحيى بن معين - الذي يقول علي بن المديني : إن العلم انتهى إليه - عن ابن المبارك ، فقال إنه : « سيد من سادات المسلمين ،

وقال أيضاً : كان عبد الله بن المبارك رحمه الله ، كيساً متثبتاً وثقة ، وكان عالماً صحيح الحديث .

وعن عبيد بن جناد أبو سعيد قال : قال لي عطاء بن مسلم : يا عبيد ، رأيت عبد الله بن المبارك ؟ قلت : نعم ، قال ما رأيت مثله ولا ترى مثله .

وقال النسائي : « لا تعلم في عصر ابن المبارك أجل من ابن المبارك ولا أعلى منه ، ولا أجمع لكل خصلة محمودة منه » .

وأما تقدير أصحاب كتب الطبقات ، فإنه موفور :

من ذلك تقدير صاحب كتاب الحلية ، قال : « ومنهم السخى الجواد ، المهد للمعاد ، والمتزود من الوداد ، أليف القرآن والحج والجهاد جاد فساد وروجع فزاد ؛ ماله مشارك ، وفعله مبارك وقوله مبارك ؛ شاهانشاه ، عبد الله بن المبارك رضى الله تعالى عنه .

وقيل : « إن التصوف اعتداد لا ازدياد ؛ واستعداد وارتداد » أهـ .  
وتقدير الشعراء : يقول عمار بن الحسن يمدح ابن المبارك :

إذا سار عبد الله من مرو ليلة فقد سار منها نورها وجمالها  
إذا ذكر الأخيار في كل بلدة فهم أنجم فيها وأنت هلالها

وقد كان ابن المبارك صديقاً للإمام مالك ، يقول يحيى بن يحيى الأندلسي : كنا في مجلس مالك فاستوذن لابن المبارك ، فأذن فرأينا مالكا تزحزح له في مجلس ، ثم أقبله بلصقه ولم أره تزحزح لأحد في مجلسه غيره ، فكان القارئ يقرأ على مالك فرما مر بشيء فيسأله مالك ما عندكم في هذا ؟ فكان عبد الله يجيبه بالخفاء

ثم قام فخرج ، فأعجب مالك بأدبه ، ثم قال لنا : هذا ابن المبارك  
فقيه خراسان .

ونختم هذه المجموعة من الآراء في ابن المبارك بما قاله الجليلي في  
الإرشاد : ابن المبارك إمام المتفق عليه ، له من الكرامات ما لا يحصى ،  
يقال : إنه من الأبدال .



## الفصل الثاني حياة ابن المبارك

ولكن من هو ابن المبارك ؟ لقد تحدثنا عنه عالمًا ناضجًا فكيف نشأ ؟  
إنه - كما ينقل صاحب تاريخ بغداد - عبد الله بن المبارك أبو عبد الرحمن  
المروزي مولى بني حنظلة ، وكانت أمه خوارزمية ، وكان أبوه تركيًا .  
وتحدث عمرو بن علي عن سنة ميلاده فيقول : ولد عبد الله بن  
المبارك سنة ثمان عشرة ومائة ، وولد بمر ، والمروزي نسبة إلى مرو ،  
وتعلم بمر العلوم الإسلامية ؛ ووسائل العلوم الإسلامية .

لقد حفظ القرآن وتعلم العربية ونحوها وصرفها وبلاغتها ، وتثقف  
في الفقه والحديث ، واستمر بمر إلى أن بلغ الثالثة والعشرين من  
عمره المبارك ، وأخذ من العلوم أساسًا قويًا ، وربما كان له في  
هذه السن المبكرة شيء من الشهرة ؛ فقد كان ذا حافظه قوية لا يكاد  
يفلت منها شيء مما تسمع ، وفي ذلك يقص صخر وهو صديق  
لابن المبارك قصة حدثت له ولابن المبارك ذات يوم .

لقد كانا في الكتاب معًا يحفظان القرآن ، وخرجا من الكتاب وأخذا  
في الطريق إلى وجهتهما وبينما هما في الطريق إذا بخطيب يخطب  
ووقفًا ينصتان إلى الخطبة ، ولما انتهى الخطيب قال ابن المبارك : لقد  
حفظتها ، ويبدو أن الخطبة كانت طويلة ، وذلك أن كلمة ابن المبارك  
عن أنه حفظها أثارت عجب أحد السامعين فقال كالمثددي : هاتها .

فأعادها ابن المبارك حرفاً حرفاً ، ولقد هدده أبوه يوماً بأن يحرق كعبه .  
فكانت إجابة ابن المبارك إن كعبه في صدره : إته يحفظها .

يبد أن هذه الذاكرة قد تحكم فيها ابن المبارك فجعلها تقبل ما يجب  
وترفض ما لا يجب - إن لم العلوم الغث الكثير واللغو والخرافات ،  
والذاكرة مهما كانت طاقة معينة ومن الخير أن لا يهتم الإنسان إلا بالنافع  
المفيد من مسائل العلم ، وكان ابن المبارك يسير على هذا المبدأ .

لقد سأله أحد المحيطين به قائلاً : هل اشتغلت بمزاولة حفظ  
الأحاديث ؟ فكان جوابه : إني أقرأ فما راقني نقش في قلبي فكان  
محفوظاً .

وفي ذلك يقول محمد بن النضر بن مساور قال : قال أبي : قلت  
لعبد الله - يعني ابن المبارك - يا أبا عبد الرحمن هل تحفظ الحديث ؟  
قال : فتغير لونه وقال : « ما تحفظت حديثاً قط ، إنما آخذ الكتاب  
فأنظر فيه ، فما أشتهي علق بقلبي » .

كان ابن المبارك ذكياً ، وكان ذا ذاكرة قوية ، وكان مجتهداً ، ومن  
الطبيعي أن ينال - وهو في سن مبكرة - شيئاً من التقدير وشيئاً من  
الشهرة .

ويحدثنا أحمد بن سنان فيقول : بلغني أن ابن المبارك أتى حماد بن  
زيد في أول الأمر ، قال فنظر إليه فأعجبه نحوه ، فقال له : من أين  
أنت ؟ قال : من أهل خراسان . قال : من أي خراسان ؟ قال : من  
مرو ، قال : تعرف رجلاً يقال له عبد الله بن المبارك ؟ قال : نعم .  
قال : ما فعل ؟ .

قال : هو الذى تخاطب . قال : فسلم عليه ورحب به ، وحسن  
الذى بينهم .

وتمضى الأيام ، وملتقى من جديد بحماد ، وعن ذلك يقول  
إسماعيل بن على بن إسماعيل : بلغنى عن ابن المبارك أنه حضر عند  
حماد بن زيد مسلماً عليه ، فقال أصحاب الحديث لحماد بن زيد :  
يا أبا إسماعيل ، تسأل أبا عبد الرحمن أن يحدثنا ؟ .

فقال : يا أبا عبد الرحمن تحدثهم ، فإنهم قد سألونى ، قال : سبحان  
الله يا أبا إسماعيل ، أحدث وأنت حاضر ؟ قال : فقال : أقسمت  
لتفعلن - أو نحوه .

ومن طريق الأمر أن ابن المبارك استجاب فقال : خذوا ولم يحدثهم  
إلا عن حماد بن زيد .

وكان طموحا ولا يتأتى لمن كان كذلك إلا أن يضرب فى الأرض  
طلباً لما ينقصه من علم أو تقوى أو مال .

وغادر ابن المبارك مرو لأول مرة فى سن الثالثة والعشرين إلى  
العراق ، وكان ذلك سنة إحدى وأربعين ومائة .

إن بغداد إذ ذاك كانت مركز أنظار الطامحين سواء أكان طموحهم  
من أجل الدنيا أم من أجل الدين ، وسافر ابن المبارك إلى العراق : إلى  
مختلف مدنها الشهيرة - ولم يقف شغف ابن المبارك عند العراق ،  
بل سافر إلى أقطار أخرى وخصوصاً الحجاز .

وكان إذا خرج إلى مكة أنشد شعره :

بغض الحياة وخوف الله أخرجنى      ويبيع نفس بما ليست له ثمننا

إني وزنت الذي يبقى ليعدله ما ليس يبقى فلا والله ما اتزنا  
وحيثما كان يصل إلى مكة يذهب إلى الحرم ويشرب من ماء زمزم  
وينوي بالشرب من ماء زمزم أمراً يرجو الله أن يحققه ، وفي ذلك  
يقول سويد بن سعيد : « رأيت عبد الله بن المبارك بمكة أتى زمزم  
فاستقى منه شربة ، ثم استقبل الكعبة ، ثم قال : اللهم إن ابن أبي  
الموال ، حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر عن النبي ﷺ أنه قال :  
« ماء زمزم لما شرب له » وهذا أشربه لعطش القيامة ثم شربه » .  
وفي أثناء هذه السياحات افتتن ابن المبارك بشخصيات هي من خيار  
الأمة :

لقد افتتن بالفضيل بن عياض ، وافتتن بسفيان الثوري ، وافتتن  
بالإمام مالك وافتتن بأبي حنيفة رضي الله عنهم .

ابن المبارك والعلم :

يقول صاحب وفيات الأعيان في ذلك : « أبو عبد الرحمن عبد الله بن  
المبارك بن واضح المروزي ، مولى بني حنظلة ، كان قد بين العلم  
والزهد وتفقه على سفيان الثوري ، ومالك بن أنس رضي الله عنهما  
وروى عنه الموطأ ، وكان كثير الانقطاع مجاً للخلوة ، شديد التورع ،  
وكذلك كان أبوه » .

ونحب أن نقف قليلاً عند هذه الكلمة لصاحب وفيات الأعيان :

إنه يقول : « كان قد جمع بين العلم والزهد » :

أما عن العلم فإنها أسامة يقول : ما رأيت أطلب للعلم من  
عبد الله بن المبارك .

ويقول المؤرخون عنه إنه : « طلب العلم ، وروى رواية كثيرة ، وصنف كتبًا كثيرة في أبواب العلم ، وكان ثقة مأمونًا حجة كثير الحديث » .

ويقول الذهبي عنه أنه : دون العلم في أبواب الفقه وفي الغزو والزهد والرقائق وغير ذلك .

ويتبين الإنسان مكانته العلمية إذا نظر في قائمة الكتب التي ألفها ابن المبارك .

وإذا كان ابن المبارك قد اشتهر بالحديث ويقول فيه أبو أسامة :

« كان ابن المبارك في الحديث مثل أمير المؤمنين في الناس » .

فإنه مع ذلك اشتغل بتفسير القرآن ، ويذكر صاحب « الفهرست » أن له تفسيرًا للقرآن .

ولقد اشتغل بالتاريخ ، ويذكر ابن النديم أيضًا أن له كتابًا في التاريخ وله كتابًا في « الفتاوى » .

واشتغل ابن المبارك بالفقه ، وألف فيه كتاب : ( السنن في الفقه ) .

ويقول ابن سعد : طلب العلم ، وروى رواية كثيرة ، وصنف كتبًا كثيرة في العلم وصنوفه ، حملها عنه قوم وكتبها الناس عنهم ، وقدم العراق والحجاز ، والشام ، ومصر ، واليمن وسمع علما كثيرا ولقد تفقه - كما يقول صاحب ( وفيات الأعيان ) على سفيان الثوري ، ومع أن سفيان الثوري أستاذه ، فإنه كان يتمنى أن لو أتيح له أن يكون كابن المبارك سنة واحدة ؛ أو حتى ثلاثة أيام ، وهذا تقدير كريم من الأستاذ لتلميذه ، وتفقه على الإمام مالك ، وروى عنه الموطأ .

ولكنه تفقه بأبي حنيفة ، يقول صاحب النجوم الزاهرة : وأكثر  
الترحال في طلب العلم ، وروى عن جماعة كثيرة ، وروى عنه  
حلائق ، وتفقه بأبي حنيفة .

ومن تقديرهم لمزكته في الفقه ما يقوله محمد بن المعتمر بن سليمان :  
قال : قلت لأبي : يا أبت ، من فقيه العرب ؟ .

قال : سفيان الثوري ، فلما مات سفيان الثوري ، قلت لأبي : من  
فقيه العرب ؟ قال : « عبد الله بن المبارك » .

ويقول إبراهيم بن شماس : رأيت أفتقه الناس ، وأورع الناس ،  
وأحفظ الناس ؛ فأما أفتقه الناس فابن المبارك ، وأما أورع الناس :  
فضيل بن عياض ، وأما أحفظ الناس : فوكيع بن الجراح .

خلوة ابن المبارك علمية :

ونأى من جديد لكلمة صاحب وفيات الأعيان عن ابن المبارك ،  
يقول : « وكان كثير الانقطاع ، مجاً للخلوة » .

وهو في انقطاعه هذا الذي يشير إليه صاحب وفيات الأعيان ، كان  
دارساً للعلم . وله في ذلك كلمات طريفة ، عن أبي داود قال : قلت  
لابن المبارك : من تجالس به خراسان ؟

قال : أجالس شعبة وسفيان .

قال أبو داود : يعني أنظر في كتبهما .

وعن شقيق بن إبراهيم البلخي قال : قيل لابن المبارك : إذا صليت  
معنا لم لا تجلس معنا ؟

قال : أذهب مع الصحابة والتابعين .

قلنا له : ومن أين الصحابة والتابعون ؟

قال : أذهب أنظر في علمي فأدرك آثارهم وأعمالهم فما أصنع معكم ! أنتم تغتابون الناس .

ومن تقديرهم له في الجانب العلمي . ما رواه يحيى بن آدم قال : « كنت إذا طلبت اللقيق من المسائل فلم أجده في كتب ابن المبارك ، أهيست منه » .

وما رواه المعتمر بن سليمان قال : « ما رأيت مثل ابن المبارك ، تصيب عنده الشيء الذي لا تصيبه عند أحد » . وهو نفسه كان شاعراً بمرتته .

عن السندي بن أبي هارون قال :

كنت أختلف مع ابن المبارك إلى المشايخ ، قال : فرما قلت له : يا أبا عبد الرحمن ، ممن نستفيد ؟ قال : « من كتبنا » .

ولابن المبارك كلمات كثيرة في العلم ونصائح نذكر منها ما يلي : من كلامه : « تعلمنا العلم للدنيا فدلنا على ترك الدنيا » .

وكان يقول : « عجبت لطالب العلم كيف تدعوه نفسه إلى حبة الدنيا مع إيمانه بما حمل من العلم » .

وعن عبد الصمد قال : سمعت الفضيل يقول : قال ابن المبارك : أكثركم علما ينبغي أن يكون أشدكم خوفاً .

وكان يقول : « من شرط العالم أن لا تخطر حبة الدنيا على باله » . وقيل له : من سفلة الناس ؟ قال : « الذين يتعيشون بدينهم » .

وكان يقول : « إذا تعلم أحدكم من القرآن ما يقيم به صلاته فليشتغل بالعلم فإن به تعرف معاني القرآن » .

ابن المبارك عالم اتباعي :

ولقد كان ابن المبارك عالماً على النسق الاتباعي ، وهذا النسق الاتباعي هو سبيل كل العلماء المحيين لرسول الله ﷺ ، والذين يستجيبون لأمر الله الذي يقول :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۖ ﴾<sup>(١)</sup>

لقد اتخذ ابن المبارك رسول الله ﷺ أسوة له في كل خطواته ، وإذا كان بعض الناس يقرأ الأحاديث الشريفة المتعلقة بالاتباع ، ويقتصر على القراءة ، فإن ابن المبارك وكثيراً من المخلصين قد حققوها واقعياً : ومن حديث رسول الله ﷺ في الاتباع : عن أبي سعيد الخدري قال . قال رسول الله ﷺ : « من أكل طيباً ، وعمل في سنة ، وأمن الناس بوائقه دخل الجنة » قالوا . يا رسول الله ، إن هذا في أمته اليوم كثير ؛ قال : « وسيكون في قوم بعدى »<sup>(٢)</sup> .

وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ خطب الناس في حجة الوداع فقال : « إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم ، ولكن رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم . فاحذروا ، إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً كتاب الله وسنة نبيه »<sup>(٣)</sup> .

(١) الأحزاب ٢١ .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا والحاكم وقال صحيح الإسناد .

(٣) رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « الاقتصاد في السنة أحسن من الاجتهاد في البذعة » (١) .

وعن ابن عباس قال : خطب رسول الله ﷺ ، فقال :  
إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه ، ألا إن الله قد فرض فرائض ،  
وسن سنتا ، وحد حدودا ، وأخل حلالا ، وحرم حراما ، وشرع  
الدين فجعله سهلا سمحا واسعا ولم يجعله ضيقا ، ألا إنه لا إيمان لمن  
لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له ، ومن نكث ذمة الله طلبه ، ومن  
نكث ذمتي خاصمته ، ومن خاصمته فلجئت عليه (٢) ، ومن نكث  
ذمتي لم ينل شفاعتي ولم يرد عليّ الحوض (٣) .

وعن عباس بن ربيعة ، قال : رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه  
يقبل الحجر ( يعني الأسود ) ويقول : « إني لأعلم أنك حجر لا تنفع  
ولا تضر ، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك » (٤) فعمر  
يفضل الاتباع .

ولقد كان الإمام الجليل عبد الله بن عمر ، من خير من طبق الاتباع  
عمليا ، ومن أخباره في ذلك : عن زيد بن أسلم قال : « رأيت ابن  
عمر يصلي محلولا إزاره ، فسأته عن ذلك ، فقال : رأيت رسول الله  
ﷺ يفعله (٥) » .

(١) رواه الحاكم موقوفا وقال إسناده صحيح على شرطهما .

(٢) فلجئت عليه : غلبته وظهرت عليه .

(٣) رواه الطبراني في الكبير .

(٤) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي .

(٥) رواه ابن خزيمة في صحيحه ، ورواه البيهقي .

وعن مجاهد قال : كنا مع ابن عمر رحمه الله في سفر ، فمرّ بمكان فجاد عنه ، فسئل : لم فعلت ذلك ؟ قال : « رأيت رسول الله ﷺ ، فعل هذا ففعلت<sup>(١)</sup> . » .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يأتي شجرة بين مكة والمدينة فيقيل تحتها ، ويخبر أن رسول الله ﷺ ، كان يفعل ذلك<sup>(٢)</sup> .

وعن ابن سيرين قال : كنت مع ابن عمر رحمه الله بعرفات ، فلما كان حين راح رحلت معه حتى أتى الإمام فضلى معه الأولى والعصر ، ثم وقف وأنا وأصحاب لي حتى أفاض الإمام فأفضنا معه حتى انتهى إلى المضيق دون المأزمين ، فأناخ وأنخنا ، ونحن نحسب أنه يريد أن يصلى ، فقال غلامه الذي يمسك راحلته : « إنه ليس يريد الصلاة ، ولكنه ذكر أن النبي ﷺ لما انتهى إلى هذا المكان قضى حاجته فهو يجب أن يقضى حاجته<sup>(٣)</sup> . » .

وكان ابن المبارك متبعًا لا مبتدعًا ، وكان يحذر من المبتدعين ؛ يقول إسماعيل الطوسي قال ابن المبارك : يكون مجلسك مع المساكين ، وإياك أن تجلس مع صاحب بدعة .

وعن عبد الله بن عمر السرخسي قال : إن الحارث قال : أكلت عند صاحب بدعة أكلة فبلغ ذلك ابن المبارك ، فقال : « لا كلمتك ثلاثين يوما . » .

(١) رواه أحمد والبخاري بإسناد جيد .

(٢) رواه البخاري بإسناد لا بأس به .

(٣) رواه أحمد ، ورواه عندهم على الصحيح .

ومن أهم الأخبار التي وردت عن ابن المبارك أنه قيل له : إن شييان يزعم أنك مُرْجِيء .

فقال : كذب شييان ، أنا خالفت المرجئة في ثلاثة أشياء : فإنهم يزعمون : أن الإيمان قول بلا عمل ، وأنا أقول هو قول وعمل .

وزعمون : أن تارك الصلاة لا يكفر ، وأنا أقول : إنه يكفر .  
وزعمون : أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ، وأنا أقول : إنه يزيد وينقص . «

وأمر الاتباع ليس بغريب على ابن المبارك الذي كان من شأنه ما يرويه نعيم بن حماد : « كان ابن المبارك إذا قرأ كتاب الرقائق يصير كأنه ثور منحور ، أو بقرة منحورة من البكاء لا يجترئ أحد منا أن يلدنو منه ، أو يسأله عن شيء إلا دفعه » .

وما يرويه شعيب بن شعبة : كان إذا قرأ شيئاً من كتب الوعظ كأنه بقرة منحورة من البكاء لا يجترئ أحد أن يلدنو منه ولا يسأله عن شيء . «

ومن مظاهر شدة تقدير ابن المبارك لكل من يمت إلى العلم بصلة والمحافظة على من ينتسب إلى الدين ، ما رواه أبو داود الطرسوسي قال : قلت لعبد الله بن المبارك : إنا نقرأ بهذه الألحان ؟ فقال :

إنما كره ليحكم منها ، إنا أدركنا القراء وهم يوتون تسمع قراءتهم ، وأنتم تدعون اليوم كما يدعى المغنون .

ومن تقدير ابن المبارك للعلم والعلماء أنه بلغه عن إسماعيل بن عليّة أنه قد ولي الصدقات ، فكتب إليه ابن المبارك :

يا جاعل العلم له بازيا      يصطاد أموال السلاطين  
احتلت للدنيا ولذاتها      بحيلة تذهب بالدين  
فصرت مجنوناً بها بعد ما      كنت دواء للمجانين  
أين رواياتك والقول في      لزوم أبواب السلاطين  
إن قلت أكرهت فما هكذا      زل حمار الشيخ في الطين

وكان يقول : على العاقل أن لا يستخف بثلاثة : العلماء والسلاطين  
والإخوان ، فإن من استخف بالعلماء ذهب آخرته . ومن استخف  
بالسلطان ذهب دنياه . ومن استخف بالإخوان ذهب مروءته .

ونختم هذه الكلمات في العلم بما يلي :

سئل عبد الله بن المبارك : ما ينهى للعالم أن يتكرم عنه ؟  
قال : ينهى أن يتكرم عما حرم الله تعالى عليه ، ويرفع نفسه عن  
الدنيا فلا تكون منه على بال .

ونعود إلى كلمة صاحب وفيات الأعيان ، إنه يقول : وكان شديد  
التورع وكذلك أبوه .

ابن المبارك والورع والزهد :

وورع ابن المبارك مشهور معروف عند الخاصة والعامة ، ومن  
كلامه الحكيم في الورع :

عن عباس بن عبد الله قال : قال عبد الله بن المبارك لو أن رجلاً اتقى  
مائة شيء ولم يتورع عن شيء واحد لم يكن ورعاً ، ومن كان فيه  
خلة من الجهل كان من الجاهلين ، أما سمعت الله تعالى قال لنوح عليه  
السلام لما قال :

﴿ رَبِّ : إِنَّ أُنثَىٰ مِنْ أَهْلِي ﴾ .

فقال الله : ﴿ إِنِّي أُعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾<sup>(١)</sup> :

ويقول الحسن : رأيت في منزل ابن المبارك حمامًا طائفة ، فقال ابن المبارك : كنا نتفع بفراخ هذه الحمام ، فليس نتفع بها اليوم ، قلت : ولم ذلك ؟ قال : اختلطت بها حمام غيرها فتراوجت بها فنحن نكره أن نتفع بشيء من فراخها من أجل ذلك .

وقال علي بن الحسن بن شقيق : سمعت ابن المبارك يقول : لأن أرد درهمًا من شبهة أحب إلى من أن أتصدق بمائة ألف ومائة ألف حتى يبلغ ستمائة ألف .

ولم يكن ورعًا فحسب ، بل كان زاهدًا أيضًا ، ومن كلماته في الزهد ، وتقدير الزاهدين أنه كان يقول : « سلطان الزهد أعظم من سلطان الرعية ، لأن سلطان الرعية لا يجمع الناس إلا بالعصا ، والزهد ينفر من الناس فيتبعوه » .

وفهمه للزهد فهم الأتقياء الصالحين إنه يقول : « دعواك الزهد لنفسك يخرجك عن الزهد »

ولقد سئل مرة : من الملوك ؟ فقال الزهاد .

خشية :

لقد كان ورعًا ، وكان زاهدًا ، ويصحب ذلك شعور بالخشية ، هذه الخشية التي تصاحب العلماء دائما ؛ العلماء المخلصين ، ومن طريف ما يروى في ذلك أن القاسم بن محمد قال : « كنا نسافر مع

---

(١) هود : الآية ٤٦ .

ابن المبارك فكثيراً ما كان يخطر بهالي فأقول في نفسي : بأى شيء  
فضل هذا الرجل علينا ، حتى اشتهر في الناس هذه الشهرة ، إن كان  
يصلي ، إنا لنصلي ، وإن كان يصوم إنا لنصوم ، وإن كان يغزو فإنا  
لنغزو ، وإن كان يحج فإنا لنحج .

قال : فكنا في بعض مسيرنا في طريق الشام ليلة نتعشى في بيت  
إذ أطفئ السراج فقام بعضنا فأخذ السراج خرج يستصبح فمكث  
هنيهة ثم جاء بالسراج ، فنظرت إلى وجه ابن المبارك ، ولحيته قد  
ابتلت من الدموع فقلت في نفسي بهذه الخشية فضل هذا الرجل  
علينا ، ولعله حين فُقد السراج فصار إلى ظلمة ذكر القيامة « اهـ .

تواضعه :

ويضاف إلى كل ذلك التواضع الجَم ، وفي ذلك يقول الحسن  
عنه : بينما هو بالكوفة يقرأ عليه كتاب المناسك انتهى إلى حيث هو  
فيه قال عبدالله : وبه نأخذ ، فقال : من كتب هذا من قولي ؟ ،  
قلت : الكاتب الذي كتبه فلم يزل يحكه بيده حتى درس ثم قال ومن  
أنا حتى يكتب قولي .

وفي حفل الزواج الذي أقامه محمد بن النضر لولده دعى ابن المبارك  
فلما جاء قام ابن المبارك ليعخدم الناس ، فأبى النضر أن يدعه وحلف  
عليه حتى جلس .

التاجر الثرى :

ولكن ابن المبارك الذي كان ورعاً وكان زاهداً وكان يمتلىء خشية  
هو ابن المبارك التاجر الكبير الثرى الضخم الثراء ، وهو في ذلك

يقول : « لا يخرج العبد عن الزهد إمساك الدنيا ليصون بها وجهه عن سؤال الناس » .

إن ابن المبارك بهذا الثراء العريض يصحح فكرة التوكل وفكرة الزهد التي يسيء الناس - أحيانا - فهمها ، ليس التوكل مجردا عن المال ، وليس الزهد رفضا للثراء . وكل الذين يأخذون على الصوفية رفضهم للعمال وللثراء ويتقذرونهم من أجل ذلك مخطئون ، والمسألة في الواقع مرجعها تحكم المال في الشخص واستعباده له ، أو تحكم الشخص في المال وجعله وسيلة لمرضاة الله سبحانه .

إن الله سبحانه حث على اكتساب الرزق وأمر بالضرب في الأرض والمشى في مناكبها قال تعالى :

﴿وَأَخْرَجُوا فِي الْأَرْضِ يَمْشُونَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَخْرَجُوا يَمْشُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ ، وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ، وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١)

ويقول سبحانه : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (٢) .

ورسول الله ﷺ حث على العمل ، وعلى اكتساب الرزق :

عن أبي عبد الله الزبير بن العوام رضى الله عنه قال : قال

(١) سورة المزمل : من الآية ٢٠ .

(٢) الملك : ١٥ .

رسول الله ﷺ : « لأن يأخذ أحدكم حبله ، ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف بها خبير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه<sup>(١)</sup> » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خبير له من يسأل أحدًا فيعطيه أو يمنعه<sup>(٢)</sup> » .

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « كان داود عليه السلام لا يأكل إلا من عمل يديه<sup>(٣)</sup> » .

وعن المقدم بن معد يكرب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يديه ، وإن نبى الله داود ﷺ كان يأكل من عمل يديه<sup>(٤)</sup> » .

وحدث صلوات الله وسلامه عليه ، على الابتعاد عن المسألة والسؤال : عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله تعالى وليس في وجهه مزعة لحم<sup>(٥)</sup> » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من سأل الناس تكثرًا فإنما يسأل جمرًا فليستقل أو ليستكثر<sup>(٦)</sup> » .

(١) رواه البخاري .

(٢) متفق عليه .

(٣) رواه البخاري .

(٤) رواه البخاري .

(٥) متفق عليه .

(٦) رواه مسلم .

وعن أنس رضى الله عنه أن رجلا من الأنصار أتى النبي ﷺ فسأله فقال النبي : « أما فى بيتك شيء ؟ قال : بلى . جلس - وهو نوع من الكساء - نلبس بعضه ونبسط بعضه ، وقعب - وهو قلدح للشرب - نشرب فيه من الماء ، قال : اتنى بهما ، فأناه بهما ، فأخدهما رسول الله ﷺ بيده وقال : من يشتري هذين ؟ قال رجل : أنا آخدهما بدرهم ، قال رسول الله ﷺ : من يزيد على درهم ؟ مرتين أو ثلاثا قال رجل : أنا آخدهما بدرهمين ، فأعطاهما إياه فأخذ الدرهمين وأعطاهما الأنصارى وقال : اشتر بأحدهما طعاما فانبذه إلى أهلك ، واشتر بالآخر قدوماً فأتنى به ، فأناه به فشد رسول الله ﷺ صوداً بيده ثم قال : اذهب فاحطب وبع ، ولا أرينك خمسة عشر يوماً ، ففعل فجاء وقد أصاب عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوباً وبعضها طعاماً ، فقال رسول الله ﷺ : هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة فى وجهك يوم القيامة » (١) .

- وعن حكيم بن حزام رضى الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ : فأعطانى ، ثم سألته فأعطانى ، ثم سألته فأعطانى ، ثم قال : « يا حكيم ، إن هذا المال خضر حلو فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه ، وكان كالذى يأكل ولا يشبع ، واليد العليا خير من اليد السفلى » .

قال حكيم : فقلت يا رسول الله ، والذى بعثك بالحق لا أرزأ<sup>(٢)</sup> أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا ، فكان أبو بكر رضى الله عنه ،

(١) رواه أبو داود .

(٢) لا أرزأ : أى لا أصيب من أحد شيئاً .

يدعو حكيمًا ليعطيه العطاء، فيأبى أن يقبل منه شيئًا، ثم إن عمر رضى الله عنه، دعاه ليعطيه فأبى أن يقبله ، فقال : يامعشر المسلمين أشهدكم على حكيم أتى أعرض عليه حقه الذي قسمه الله له نبي هذا الفيء فيأبى أن يأخذه، فلم يرزأ أحدًا من الناس بعد النبي ﷺ حتى توفى (١) .  
 والمنهى عنه في الدين الإسلامى هو أن تصرف التجارة عن ذكر الله ، أو يصرف الكسب عن ذكر الله . قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ • فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴾ (٢) .

والله سبحانه وتعالى يتحدث عن :  
 ﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ • لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا بِمُرِيدِهِمْ مِنْ فَضْلِهِ ، وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٣) .

إنهم يتاجرون ويبيعون ويشترون ، ولكن ذلك كله لا يلهيهم عن ذكر الله ، فمدحهم الله تعالى بذلك .  
 وذم الله سبحانه قوماً لأنهم انصرفوا عن الله ، والسبب هو جريهم وراء جمع المال وتكديسه ، يقول سبحانه :

(١) مطلق عليه .

(٢) للحمزة : ١٠ ، ٩ .

(٣) التور : ٣٧ ، ٣٨ .

﴿الَهَاكُمُ التَّكَاثُرُ • حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ • كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ • ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ • كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ • لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ • ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ • ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾<sup>(١)</sup> .

والجو الإسلامي كله إما هو توجيه نحو تحقيق الصورة التي تمثل في قوله تعالى :

﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَافَاتِكُمْ ، وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾<sup>(٢)</sup> .

ويمدح رسول الله ﷺ التاجر الصدوق فيقول ما معناه : « التاجر الصدوق الأمين يحشر يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين » .

وليس في الإسلام حث أو توجيه إلى الفقر ، بل على العكس من ذلك فيه حث وتوجيه إلى الثراء الذي لا يلهي عن ذكر الله .

وإن من يتدبر فريضة الزكاة ، وأنها ركن من أهم أركان الإسلام وأن هذا الركن يتحدث الله سبحانه وتعالى عنه كثيراً في القرآن ، وأنه ركن لا يقوم بأدائه الفقراء ، وأن الفقراء ينقصهم تحقيق أحد أركان الإسلام ، إن من يتدبر ذلك يعلم يقيناً أن الإسلام يحث على اكتساب الثراء ، ويعلن أن اليد العليا خير من اليد السفلى ، ويعلن أنه كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول .

وإن من يتدبر الآيات القرآنية الكثيرة ، والأحاديث النبوية المتعددة عن الصدقة ، وعن جزاء المتصدقين ، وعن مكافأة الله لهم في الدنيا

(١) سورة التكاثر .

(٢) الحديد : من الآية ٢٣ .

وفي الآخرة ، يعلم أن الفقر في ذاته ليس فضيلة إسلامية ، وأن الممدوح إنما هو الغنى الشاكر - خلافاً لمن ذهب إلى القول بتفضيل الفقير الصابر - وأن الفقير ليس عملاً للثناء من أجل فقره .

وابن المبارك ، وهو من كبار المتابعين للسنن الإسلامية ، كان يكتسب المال الكثير من وراء تجارته ، وكان مثله مثل سيدنا عثمان ذى النورين الذى مؤل جيش العسرة وحفر بئر رومة ، وقال فيه رسول الله ﷺ : « اللهم ارض عن عثمان فإنى عنه راض » .

وكان مثله كمثل سيدنا عبد الرحمن بن عوف الذى كان يتبرع بمئات الجمال وما تحمله فى سبيل الله .

كان ابن المبارك يتاجر وكان التراب يتحول فى يده إلى ذهب كما يقولون فى التاجر الناجح ، وكانت تجارة ابن المبارك نقل البضائع من مكان إلى مكان ، وكان يربحه يأتيه من فرق السعر ، وهذا النوع من التجارة يشبه ما نسميه الآن : الاستيراد والتصدير - وكان بعض الناس يرى ما يشبه التناقض بين الزهد عند ابن المبارك وعمله فى الاستيراد والتصدير :

فمن على بن الفضيل قال : سمعت أبا وهو يقول لابن المبارك - أنت تأمرنا بالزهد ، والتقل ، والبلغه ، ونراك تأتي بالبضائع من بلاد خراسان إلى البلد الحرام ، كيف ذا ؟ ويرد ابن المبارك على ذلك رداً جميلاً حكيماً منطقياً فيقول :

يا أبا على إنما أفعل ذا لأصون به وجهي ، وأكرم به عرضي ، وأستعين به على طاعة ربي ، لا أرى لله حقاً إلا سارعت إليه حتى أقوم

. به

فقال له الفضيل : يا ابن المبارك ما أحسن ذا ، إن تم ذا ؟ .  
وإذا كان بعض التجار يكثر المال ويتسم بالبخل فقد كان من خلق  
عبدالله بن المبارك : السخاء .

يقول العباس بن مصعب المروزي : « جمع ابن المبارك الحديث  
والفقه ، والعربية ، وأيام الناس والشجاعة والسخاء » .

وكان سخاؤه يشبه الأساطير وكل ما يروى عنه في هذا الباب من  
الطرائف الطريفة ، يقول إسماعيل بن عياش : « ما على وجه الأرض  
مثل عبدالله بن المبارك ، ولا أعلم أن الله خلق خصلة من خصال الخير  
إلا وقد جعلها في عبدالله بن المبارك ، ولقد حدثني أصحابي أنهم  
صحبوه من مصر إلى مكة ، فكان يطعمهم الخييص<sup>(١)</sup> ، وهو الدهر  
صائم » .

ويتحدث عن سخائه عمر بن حفص الصوفى - بمبج - فيقول :  
خرج ابن المبارك من بغداد يريد المصيصة ، فصحبه الصوفية ، فقال  
لهم : أنتم لكم أنفس تحشمون أن ينفق عليكم ، يا غلام هات الطست ،  
فألقى على الطست مندبلا ثم قال : يلقى كل رجل منكم تحت المندبل  
ما معه .

قال : فجعل الرجل يلقى عشرة دراهم والرجل يلقى عشرين فأنفق  
عليهم إلى المصيصة فلما بلغ المصيصة ، قال : هذه بلاد نفير<sup>(٢)</sup> ،  
فنقسم ما بقى ، فجعل يعطى الرجل عشرين دينارًا ، فيقول :

(١) الخييص : طعام من التمر والسمن .

(٢) بلاد نفير : بلاد حرب .

يا أبا عبد الرحمن إنما أعطيت عشرين درهما ، فيقول : وماتتكر أن يبارك الله للغازي في نفقته ؟ ؟ . وكان في رحلاته إلى الحج كأنه هارون الرشيد الذي تصوره ألف ليلة وليلة في البذل والعطاء ، يقول محمد بن علي بن الحسن بن شقيق : سمعت أبي قال : كان ابن المبارك إذا كان وقت الحج اجتمع عليه إخوانه من أهل مرو ، فيقولون : نصحبك يا أبا عبد الرحمن ؟ .

فيقول لهم : هاتوا نفقاتكم ، فيأخذ نفقاتهم فيجعلها في صندوق فيقفل عليها ، ثم يكتري لهم ويخرجهم من مرو إلى بغداد ، فلا يزال ينفق عليهم ويطعمهم أطيب الطعام ، وأطيب الحلواء ثم يخرجهم من بغداد بأحسن زى وأجمل مروءة ، حتى يصلوا إلى مدينة الرسول ﷺ ، فإذا صاروا إلى المدينة قال لكل رجل منهم : ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من المدينة من طرفها ؟ فيقول كذا ، فيشتري لهم ، ثم يخرجهم إلى مكة ، فإذا وصلوا إلى مكة وقضوا حجهم ، قال لكل واحد منهم : ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من متاع مكة ؟ فيقول : كذا وكذا ، فيشتري لهم ، ثم يخرجهم من مكة فلا يزال ينفق عليهم إلى أن يصيروا إلى مرو ، فإذا وصل إلى مرو جصص أبوابهم ودورهم ، فإن كان بعد ثلاثة أيام صنع لهم وليمة وكساهم ، فإذا أكلوا وسروا ، دعا بالصندوق ففتحه ودفع إلى كل رجل منهم صرته بعد أن كتب عليها اسمه .

قال أبي : أخبرني خادمه أنه عمل آخر سفرة سافرها دعوة ، فقدم إلى الناس خمسة وعشرين خواتنا فالودج .

قال أُمي : وبلغنا أنه قال للفضيل بن عياض : لولاك وأصحابك ما اتجرت ؟

قال أُمي : وكان ينفق على الفقراء في كل سنة مائة ألف درهم .  
ويقول محمد بن عيسى : كان عبدالله بن المبارك كثير الاختلاف إلى طرسوس ، وكان ينزل بالرقعة في خان ، فكان شاب يختلف إليه ويقوم بمحوائه ، ويسمع منه الحديث ، قال : فقدم عبدالله الرقة مرة فلم ير ذلك الشاب ، وكان متعجلاً ، فخرج في النفير ، فلما قفل من غزوته ورجع الرقة سأل عن الشاب ، قال فقالوا : إنه محبوبس لدين ركه .

فقال عبدالله : وكم مبلغ دينه ؟ .

فقالوا : عشرة آلاف درهم ، فلم يزل يستقصي حتى دل على صاحب المال ، فدعا به ليلاً ووزن له عشرة آلاف درهم ، وحلفه ألا يخبر أحداً مادام عبد الله حياً ، وقال : إذا أصبحت فأخرج الرجل من الحبس ، وأدليج عبد الله ، فأخرج الفتى من الحبس .

وقيل له : عبدالله بن المبارك كان هاهنا ، وكان يذكرك ، وقد خرج ، فخرج الفتى في أثره فلحقه على مرحلتين ، أو ثلاث من الرقة .

فقال : يا فتى أين كنت ؟ لم أرك في الخان ؟ .

قال : نعم يا أبا عبد الرحمن ، كنت محبوبساً بدين .

قال : فكيف كان سبب خلاصك ؟ .

قال : جاء رجل فقضى ديني ولم أعلم به حتى أخرجت من الحبس .

فقال له عبدالله : يا فتى أحمد الله على ما وفق لك من قضاء دينك ،

فلم يخبر ذلك الرجل أحداً إلا بعد وفاة عبد الله .

وكانت أكثر نفقائه على طلبة أهل السنة وعلى الصوفية ، ولقد عوتب مرة في ذلك كما يروى حبان بن موسى قال : عوتب ابن المبارك فيم يفرق المال في البلدان ولا يفعل في أهل بلده ، فأجاب بهذا الرد الجميل : « إني أعرف مكان قوم لهم فضل وصدق : طلبوا الحديث فأحسنوا الطلب للحديث ، فاحتاجوا ، فإن تركناهم ضاع عليهم ، وإن أعناهم بثوا العلم لأمة محمد ﷺ ولا أعلم بعد النبوة أفضل من بث العلم » .

ويروى عن علي بن الحسن بن شقيق قال : بلغنا أنه قال للفضيل بن عياض : لولا أنت وأصحابك ما اتجرت .

قال : وكان ينفق على الفقراء في كل سنة مائة ألف درهم ، ومناقبه وفضائله كثيرة جداً .

وكان رضى الله عنه : يطعم أصحابه الفالودج والخبيص ، ويظل هو نهاره صائماً ، وقيل له مرة : قد قل المال فقلل من صلة الناس ؟ فقال : إن كان المال قل فإن العمر قد نغد .

وكان يتحرى دائماً أن يأكل مع الضيف ويقول : بلغنا أن طعام الضيف لا حساب عليه ، قالوا : وكانت سفرة ابن المبارك تحمل على صجلة أو عجلتين .

وقال أبو إسحاق الطالقاني : « رأيت بعيرين يحملين دجاجاً مشويا لسفرة ابن المبارك » .

وقال المسيب بن واضح : كنت عند عبد الله بن المبارك جالساً إذ كلموه في رجل يقضى عنه سبعمائة درهم ديناً فكتب إلى وكيله إذا جاءك كتابي هذا وقرأته فادفع إلى صاحب هذا الكتاب سبعة آلاف ،

فلما ورد الكتاب على الوكيل وقرأه التفت إلى الرجل فقال : أى شيء قضيتك ؟ فقال : كلموه أن يقضى عنى سبعمائة درهم ديناً ، فقال : قد أصبت فى الكتاب غلطاً ولكن أقعد موضعك حتى أجرى عليك من مالى وأبعث إلى صاحبي فأوامره فيك ، فكتب إلى عبد الله بن المبارك : أتانى كتابك وقرأته وفهمت ما ذكرت فيه وسألت صاحب الكتاب فذكر أنه كلمك فى سبعمائة درهم وهابنا سبعة آلاف فإن يكن منك غلطاً فاكتب إلى حتى أعمل على حسب ذلك ، فكتب إليه : إذا أتاك كتابى هذا وقرأته وفهمت ما فيه فادفع إلى صاحب الكتاب أربعة عشر ألفاً ، فكتب إليه إن كان على هذا الفعل تفعل فما أسرع ما تبيع الضيعة ، فكتب إليه عبد الله بن المبارك : إن كنت وكيلى فأنفذ ما أمرك به ، وإن كنت وكيلك فتعال إلى موضعى حتى أصير إلى موضعك فأنفذ ما تأمرنى به .

وقال ابن عباس : قال رسول الله ﷺ : من فاجأ من أخيه المسلم فرحة غفر الله له ، فأحببت أن أفاجئه فرحة على فرحة .

وقال إسماعيل بن عياش : حدثنى أصحابى أنهم صحبوه من مصر إلى مكة فكان يطعمهم الخبيص وهو الدهر سالم .

وقال داود بن رشيد : كان ابن المبارك عند أبى الأحوص فجاء رسول فلان الهاشمى بعض الولاة . فقال : يقرئك السلام ، ويقول : يا أبا الأحوص ! هذا شهر رمضان وقد وسعنا على عيالنا ، وهذه ألف درهم توسع بها عليهم فى هذا الشهر ، فقال أبو الأحوص . فعل الله به وفعل ، وقال : قل له يدعها عنده حتى إذا احتجنا إليها بعثنا فأخذناها .

قال : وانسل ابن المبارك إلى منزله فجاء بألف فقال : يا أبا الأحوص هذه الألف تنفقها فإني لا آمن أن يكون قد بلغ أهلك فيخاصموك وهذه من وجه أرجو أن تكون أطيب ، فقبلها .

وقال ابن كثير : إن ابن المبارك خرج مرة إلى الحج فاجتاز ببعض البلاد فمات طائر معهم فأمر بإلقائه على منزلة هناك ، وسار أصحابه أمامه : وتخلف هو وورثهم فلما مر بالمنزلة إذا جارية قد خرجت من دار قرية منها ، فأخذت ذلك الطائر الميت ثم لفته ثم أسرعته به إلى الدار . فجاء فسألها عن أمرها وأخذها الميتة ، فقالت . أنا وأخى هنا ليس لنا شيء إلا هذا الإزار وليس لنا قوت إلا ما يلقى على هذه المنزلة وقد حلت لنا الميتة منذ أيام ، وكان أبونا له مال ، فظلم وأخذ ماله وقتل ، فأمر ابن المبارك برد الأحمال وقال لو كيله كم معك من النفقة ؟ قال : ألف دينار ، فقال : عد منها عشرين ديناراً تكفيها وأعطاها الباقي ، فهذا أفضل من حجبنا هذا العام ثم رجع .

ونختم الحديث في ذلك بما يلي :

حدث مرة - كما يروى سلمة بن سليمان - قال : جاء رجل إلى عبد الله بن المبارك فسأله أن يقضى ديناً عليه ، فكتب له إلى وكيل له ، فلما ورد عليه الكتاب ، قال له الوكيل : كم الدين الذي سألت فيه عبد الله أن يقضيه عنك ؟

قال سبعمائة درهم ، فكتب إلى عبد الله . إن هذا الرجل سألك أن تقضى سبعمائة درهم ، وكتب له سبعة آلاف درهم وقد فئت الغلات فكتب إليه عبد الله : إن كانت الغلات فئت فإن العمر أيضاً قد فنى

فأجز له ما سبق به قلمي . وقد سبق ذكر هذه القصة مطولة ،  
وهكذا تسير الحياة بابن المبارك .

إنها جد في جميع جوانبها ، وعمل دائم مستمر ، وقدره الناس  
وأحبوه حباً ملك عليهم أفئدتهم ، ومن مظاهر هذا الحب ما رواه  
شعيب بن شعبة المصيصي قال : قدم هارون الرشيد أمير المؤمنين  
الرقعة ، فأنجفل الناس خلف عبد الله بن المبارك وتقطعت النعال ،  
وارتفعت الغبرة ، فأشرفت أم ولد أمير المؤمنين من برج من قصر  
الخشب ، فلما رأت الناس قالت : ما هذا ؟

قالوا : عالم من أهل خراسان قدم الرقعة يقال له عبد الله بن المبارك ،  
فقالت : « هذا والله الملك لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس إلا  
بالعصا والسياط ، والشرط والأعوان » .

وما من شك في أن صفات ابن المبارك قد هيأته لحب الناس :  
كرم وشجاعة وعلم ؛ وإخلاص ، وما شئت فقل من صفات  
الخير .

وكان من شأنه تفخيم أصحابه ، يقول عبيد بن جناد :  
مارأيت أحداً مثل ابن المبارك إذا ذكر أصحابه فخمهم ، يقول :  
« وأين مثل فلان ، ثم يقول الرفيع من يرفعه الله بطاعته والوضيع من  
وضعه » .

ولهذا يقول عبد الرحمن بن يزيد الجهمي قال الأوزاعي : رأيت  
ابن المبارك ؟

قلت : لا ، قال : لو رأيته لقرت عينك .

ويقول محمد بن عبد العزيز بن أبي رزمة : سمعت أبي يقول : قال

لى شعبة : عرفت ابن المبارك ؟ قلت : نعم ، قال : ما قدم علينا من ناحيتكم مثله .

وفى يوم من الأيام ، انتهت الحياة بابن المبارك ، انتهت به فى شهر رمضان ، وانتهت وهو منصرف من الغزو ، وكان قد وصل إلى بلدة « هيت » فتوفى بها .

ويقول الحسن بن الربيع : شهدت موت ابن المبارك ، مات سنة إحدى وثمانين ومائة فى رمضان لعشر مضين منه ، مات سحرًا ودفناه بهيت ، وسألت ابن المبارك قبل أن يموت ، قال : أنا ابن ثلاث وستين . وهيت - كما يقول المؤرخون - بكسر الهاء ، وسكون الياء المشاة من تحتها ، وبعدها تاء مشاة من فوقها - مدينة على الفرات فوق الأنبار من أعمال العراق ، لكنها فى بر الشام ، والأنبار فى بر بغداد ، والفرات يفصل بينهما ، ودجلة تفصل بين الأنبار ، وبغداد ، وقبره ظاهر بها بزار .

قال الحسن بن الربيع : سمعت ابن المبارك حين حضرته الوفاة واقبل نصير ، يقول : يا أبا عبد الرحمن قل : لا إله إلا الله ، فقال له : يا نصير ، قد ترى شدة الكلام على ، فإذا سمعنى قلتها فلا تردّها على حتى تسمعنى قد أحدثت بعدها كلاما ، فإنما كانوا يستحبون أن يكون آخر كلام العبد ذلك ..

ويقول أحمد بن خالد : سمعت الفريابى يقول : رأيت النبى ﷺ فى النوم ، فقلت : يا رسول الله ، ما فعل ابن المبارك ؟ فقال : ﴿ مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء ، والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا ﴾ .

ولما بلغ هارون الرشيد موت ابن المبارك ، قال : « مات سيد العلماء » .

وقد رويت لابن المبارك كرامات كثيرة ، نذكر منها ما يلي :  
قال أبو وهب : مر عبد الله برجل أعمى ، فقال : أسألك بالله أن تدعوا لي ، فدعا فرد الله عليه بصره وأنا أنظر .  
وقال الحسن بن عيسى : كان عبد الله بن المبارك مجاب الدعوة .



## الفصل الثالث الجهاد والمجاهد

المجاهد :

يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ  
وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ : رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ  
أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنَ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا \* الَّذِينَ  
آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ  
فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ (١) .

ويقول عز وجل :

﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انتهوا فَلَا عُدْوَانَ  
إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (٢) .

ويقول سبحانه :

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٣) .

من هذه النصوص القرآنية الكريمة نتبين أن الجهاد في الإسلام إنما

(١) النساء : ٧٥-٧٦ .

(٢) البقرة : ١٩٣ .

(٣) البقرة : ٢٤٤ .

هو جهاد من أجل فكرة ، هذه الفكرة هي ما عبر عنه عنه سبحانه :  
بسبيل الله وسبيل الله هو الخير والعدل والحق ، فالقتال في الإسلام ،  
إنما كان من أجل :

١ - أن يكون الدين كله لله .

٢ - وألا تكون فتنة .

٣ - ومن أجل المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين  
لا حول لهم ولا قوة ، الذين ينالون من عسف الطغاة وبغيهم الشر  
الكثير فيضرعون إلى الله سبحانه أن ينقذهم من الظلم .

٤ - تم من أجل هؤلاء الذين أخرجوا من ديارهم ومن أموالهم  
بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله .

وقد يتساءل إنسان : ما هو سبيل الله ؟ وكيف يكون الدين كله  
لله ؟

ومن أجل بيان سبيل الله سبحانه نذكر بعض المبادئ الإسلامية  
متضمنة في قصص واقعية تصور الرشاد وطريق البنى ، تصور أولياء  
الله وأولياء الشيطان :

( أ ) من أول هذه القصص قصة هؤلاء الذين هاجروا بدينهم إلى  
الحبشة ، لم تكن هجرتهم هجرة سياحة يستمتعون فيها بشهواتهم  
مليين دواعي الأهواء ، ولم تكن هجرتهم هجرة لنيل بصيوتها ، أو  
امرأة ينكحونها ، وإنما هاجروا بدينهم ولدينهم ، لقد هاجروا حتى  
لا يفتنهم الطغاة الظالمون ، لقد هاجروا لله وللخلق الكريم ، وللمثل  
العليا - إنهم أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله .

فلما سافروا بدينهم إلى الحبشة ، أرسل القرشيون وفدًا إلى النجاشي فيه عبد الله بن أبي ربيعة ، وعمرو بن العاص ، لرد المهاجرين إلى مكة ليعذبوه من جديد ، ولما التقى الوفد بالنجاشي قال له عمرو بن العاص :

« إنه قد لجأ إلى بلدك منا غلمان سقهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينك ، وجاءوا بدين ابتدعوه ، لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم : من آباؤهم وأعمامهم وعشائرتهم لتردهم عليهم ، فهم أعلى بهم عينا ( أى أبصر بهم ) وأعلم بما عابوا عليهم . »

فلما سمع النجاشي كلامهم رأى أن من الحكمة : ألا يسلم إليهم المهاجرين دون أن يسمع كلامهم وحجتهم ، فأرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ ، فدعاهم ، فلما جاءوا قال لهم :

« ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا في ديني ولا دين أحد من هذه الملل ؟ » .

فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب ، فقال له :

« أيها الملك ، كنا قومًا أهل جاهلية : نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ونأثم بالفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسئ الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف - فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولًا منا : نعرف نسبه ، وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله ، لنوحده . ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه : من الحجارة والأوثان .

أمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة ؛ وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، وأكل

مال اليتيم ، وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله وحده ، لا نشرك به شيئاً وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ... ( وعدد عليه أمور الإسلام ) .  
فصدقناه وآمنا به ، واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده ؛ ولم نشرك به شيئاً ؛ وحرمنا ما حرم علينا ؛ وأحللنا ما أحل لنا ...  
فعدا علينا قومنا : فعذبونا ، وفتنونا عن ديننا ، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ؛ وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ؛ فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا ؛ وحالوا بيننا وبين ديننا ؛ خرجنا إلى بلادك .

ولما قرأ عليه صدرًا من سورة مريم بكى النجاشي ثم قال :  
إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة » .  
ثم التفت إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص فقال لهما :  
« انطلقا ، فلا والله لا أسلمهم إليكما » .

لقد علم النجاشي ، فور سماعه المبادئ الإسلامية :  
أن هذه المبادئ حق ، وأنها آيات بينات لا يخفى صدقها على أصحاب الفطر السليمة ؛ وعلم أن ما أتى به محمد ؛ ﷺ : إنما يصدر من المنبع الذي كانت تصدر عنه رسالة عيسى عليه السلام .  
وسبيل الله كما صوره سيدنا جعفر : توحيد الله وعبادته وحده ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، وإقام الصلاة ، وأداء الزكاة ، والصيام ... والابتعاد عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة .

أما سبيل الشيطان فهو : عبادة الأصنام ، عبادة الشهوة ، والسيطرة ، والاستعلاء ؛ واستعباد الآخرين وإخراج الأمنين من ديارهم بنير حق . وسبيل الشيطان : إتيان الفواحش ، وقطع الأرحام : وإساءة الجوار . وأن يأكل القوى الضعيف .

وسبيل الشيطان أيضاً : قول الزور ، وإشاعة الأكاذيب والغش بكل طرقة وأساليبه ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات .

(ب) وإذا أردنا تصويراً آخر لسبيل الله - في إجماله وعمومه - حسبما رآه أحد حكماء العرب - ولم يكن قد أسلم - وهو أكرم بن صيفى فإننا - تصميماً للأمر في واقعه - نذكر القصة التالية :

لما ظهر النبي ﷺ بمكة ، ودعا إلى الإسلام ، بعث أكرم ابن صيفى ابنه « حبيشاً » فاتاه بخبره ، فجمع بني تميم ، وقال لهم - فيما قال : إن ابني شافه هذا الرجل مشافهة ، وأتاني بخبره ، وكتابه : يأمر بالمعروف ، وينهى فيه عن المنكر ويأخذ فيه بمحاسن الأخلاق ، ويدعو إلى توحيد الله تعالى وخلع الأوثان ، وترك الحلف بالنيران ، وقد حلف ( عرف ) ذور الرأي منكم : أن الفضل فيما يدعو إليه ، وأن الرأي ، ترك ما ينهى عنه .

ثم يقول هذه الكلمات الرائعة :

« إن الذي يدعو إليه محمد ، لو لم يكن ديناً ، لكان في أخلاق الناس حسناً » .

وسبيل الله كما رآه أكرم :

توحيد الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأخذ بمحاسن الأخلاق .

وكلمة : الأخذ بمحاسن الأخلاق ، كلمة جميلة جمعت فاستغرقت وشملت فعمت .

أما كلمته الرائعة حقاً السامية حقاً ، العجيبة في صدقها وإيجازها وفصاحتها فهي قوله :

« إن الذى يدعو إليه محمد ، لو لم يكن ديناً ، لكان فى أخلاق الناس حسناً » .

(ج) على أن أبا سفيان قبل إسلامه ، وقد كان عدواً لدوداً للإسلام لم يستطع أن ينكر أن محمداً ﷺ إنما يدعو إلى :

الصلاة والزكاة والصلة ( صلة الأرحام ، وصلة المؤمنين ومودتهم ) والعفاف ، لقد أعلن أبو سفيان ذلك فى ملاء من الأشهاد رداً على سؤال هرقل كما رواه الإمام البخارى رضى الله عنه .

( د ) وسبيل الله هو ما رسمه الله سبحانه ، وأنزل على رسوله ﷺ ، فكان قرآناً ، وكان سنة .

وسبيل الله بحسب القرآن الكريم والسنة الشريفة يتبلور ويتمركز فى :

١ - التوحيد فى مجال العقيدة . ٢ - الرحمة فى المجال الأخلاقى .

٣ - العدل فى مجال التشريع .

يقول سبحانه وتعالى فى العقيدة :

( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ) (١) .

(١) الأبياء : الآية ٢٥ .

ويذكر سبحانه من شواهد ذلك على لسان سيدنا هود :

﴿ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ، مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ \* يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ \* وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾ (١) .

وعلى لسان سيدنا صالح :

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ (٢) .

وعلى لسان سيدنا شعيب :

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ : يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ، وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أُرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴾ (٣) .

ويقول عز وجل موضحةً سبيله أمرًا ونهيًا :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٤) .

(١) هود : ٥٠-٥٢ .

(٢) هود : ٦١ .

(٣) هود : ٨٤ .

(٤) النحل : ٩٠ .

ويقول الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَاطِنُ عَلَيْكَ عَلَى أَنْ لَا يَشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ ، وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ ، وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ ، وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ قَبَائِعَهُنَّ ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) .

ويقول سبحانه :

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِسْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ، وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمُ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ \* وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ، وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ، وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ، ذَلِكَمُ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ \* وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ، وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَمُ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٢) .

ويجمل رسول الله ﷺ . رسالته في قوله : « إنما بعثت لأتمم

مكارم الأخلاق » ، وما من شك في أن مكارم الأخلاق :

في الاعتقاد : التوحيد .

وفي التشريع : العدل .

(١) المتحفة : ١٢ .

(٢) الأنعام : ١٥١ - ١٥٣ .

وفي الأخلاق : الرحمة .

وحيثما يتحدث الرحمن الرحيم ؛ الودود القريب المجيب ، عن بواعث الرسالة الإسلامية عن حكمتها ، عن طابعها ، عن سماتها العامة ، عن سماتها الخاصة فإنه سبحانه يعلنها : رحمة .

يقول سبحانه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

هذا هو سبيل الله ؛ وهذا هو جوهر الرسالة ، التي كلفت الأمة الإسلامية بالإيمان بها والتبشير بها والقيام عليها ، وتدعيمها في الأنفس والآفاق .

\* \* \*

والجهاد في الإسلام ، جزء من الدين ، وسمة من سماته ، وطابع له ، فإذا ما تركته الأمة الإسلامية فقد تركت الدين ، يقول رسول الله ﷺ فيما رواه أبو داود عن عبد الله بن عمر : « وإذا تركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم » . وترك الجهاد إذا يستتبع الذل ، والعودة إليه إنما هي عودة إلى الدين بعد الانحراف عنه بترك الجهاد .

ويقول رسول الله ﷺ ، فيما رواه الإمام مسلم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه : « من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزوات على شعبة من النفاق » .

ولقد سئل رسول الله ﷺ - فيما رواه الشيخان ، عن أفضل الأعمال فقال : « الإيمان بالله والجهاد في سبيله » .

---

(١) الأنبياء : ١٠٧ .

ولعلنا نلمس من هذه الأحاديث الشريفة الأهمية الكبرى للجهاد في الإسلام ، وهذه الأهمية هي التي جعلت الإسلام يهتم بالصغير والكبير من شعونه .

ولقد بين الله سبحانه أهدافه وغاياته

أولا يقول الله تعالى : ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ : رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنَ اللَّهِ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنَ اللَّهِ نَصِيرًا الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ ، فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ، إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ (١) .

وبين سبحانه ثانيا : أن الشجاعة لا تقصر الأجل وأن الجبن لا يطيل الأجل . وذلك أن الآجال محدودة ، ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْبِلُونَهَا ﴾ (٢) .

وبين سبحانه ثالثا : أن التفرغ للقتال لا يصرف عن الإنسان الرزق ؛ فالرزق مضمون ، قد ضمنه الله تعالى ؛ وأقسم سبحانه على ذلك ، وهذا حتى لا يغمر القلق أقطار النفس من أجل الرزق .

وبين سبحانه رابعا : أن الاستئذان في التخلف عن الجهاد يتنافى مع الإيمان ، بل يتعارض معه ، بل ينتفى الإيمان عند التخلف مع القدرة ، قال تعالى :

(١) النساء : ٧٥ و ٧٦ .

(٢) الأعراف : من الآية ٣٤ .

﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ • إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ ، فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿١﴾ .  
 وبين سبحانه خامسًا : أن موالاة ﴿٢﴾ الأعداء كفر :

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ ، أَوْ إِخْوَانَهُمْ ، أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ ، وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿٣﴾ .

أما إذا انتهى الجهاد إلى الاستشهاد . فالمصير الجنة والقرب من الله ، وفي القرآن الكريم والأحاديث الشريفة أروع وأجمل تصوير لمكانة الشهيد في الآخرة ، نكتفى منها بالآية الكريمة التي يضمنى كل مؤمن أن يكون من تشملهم . يقول تعالى :

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ • فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ • يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤﴾ .

(١) النوبة : ٤٤ و ٤٥ .

(٢) المراد بالموالاة هنا : الاتباع والملازمة .

(٣) المجادلة : ٢٢ .

(٤) آل عمران : ١٦٩ - ١٧١ .

وَأَمَّنَ الْمُسْلِمُونَ بِهَذِهِ الرِّسَالَةِ وَأَصْبَحَ إِيمَانُهُمْ بِهَا جِزَاءً مِنْ ذَاتِهِمْ ،  
فَانْدَفَعُوا يَبْشُرُونَ بِهَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَسْوَاحِهِمْ ، وَتَتَابَعُ الْجِهَادُ ، وَكَانَ مِنْ  
بَيْنِ مَنْ لَبُوا نِدَاءَ الْإِيمَانِ : عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ .

وَكَانَ ابْنُ الْمُبَارَكِ نَقِيهًا مِنْ كِبَارِ الْفُقَهَاءِ : وَكَانَ مِثْلَهُ فِي  
الْمُحَدِّثِينَ مِثْلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ نَبِيِّ النَّاسِ : وَكَانَ تَاجِرًا نَاجِحًا : ... فَإِنَّهُ  
كَانَ مُجَاهِدًا بَطْلًا .

عَنْ أَبِي حَازِمٍ الرَّازِيِّ قَالَ سَمِعْتُ حَبِيبَةَ بْنَ سُلَيْمَانَ - يَعْنِي الْمُرُوزِيَّ -  
يَقُولُ : كُنَّا نَبِيَّ سَرِيَّةً مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ فِي بِلَادِ الرُّومِ ، فَصَادَفَنَا  
الْعَدُوُّ ، فَلَمَّا انْقَضَى الصَّفَانُ خَرَجَ رَجُلٌ مِنَ الْعَدُوِّ قَدَعًا إِلَى الْبِرَازِ ،  
فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَتَلَهُ ، ثُمَّ دَعَا إِلَى الْبِرَازِ فَخَرَجَ إِلَيْهِ فَطَارَدَهُ سَاعَةً  
فَقَطَعَهُ فَقَتَلَهُ ، فَازْدَحَمَ إِلَيْهِ النَّاسُ ، فَكُنْتُ فِيْمَنْ أزدَحَمَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ  
يَلْشُمُ وَجْهَهُ بِكُمِهِ فَأَخَذْتُ بِطَرْفِ كُمِهِ فَمَدَدْتَهُ فَإِذَا هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ  
الْمُبَارَكِ ، فَقَالَ : وَأَنْتِ يَا أَبَا عَمْرٍ مِمَّنْ يَشْنَعُ عَلَيْنَا .

وَالْحَدِيثُ دَائِمًا يَتَدَاوَلُ عَنِ الْمُوازَنَةِ بَيْنَ الْعَابِدِ وَالْمُجَاهِدِ ؛ وَالرَّوَاغِ  
أَنَّ الْمُجَاهِدَ عَابِدًا مِنْ أَفْضَلِ الْعِبَادِ ، وَلَقَدْ سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؛ عَنْ  
أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ فَقَالَ : فِيْمَا رَوَاهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ - « الْإِيمَانُ بِاللَّهِ  
وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ » .

وَلَقَدْ مَرَّ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، ذَاتَ يَوْمٍ بِعَيْنِ مَاءٍ  
عَذْبَةٍ فَأَعْجَبَتْهُ فَأَرَادَ أَنْ يَقِيمَ بِجَوَارِهَا يَعْبُدُ اللَّهَ ، وَيَعْتَرِلُ النَّاسَ ، أَرَادَ  
أَنْ يَعْتَكِفَ فِي الْجَبَلِ بِجَوَارِ الْعَيْنِ يَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا ، وَيَأْكُلُ مِنَ  
النَّبَاتَاتِ الَّتِي تَنْبَتُ حَوْلَهَا ، وَيَمْكُثُ رَاضِيًا النَّفْسَ هَادِيًا الْبَالِ ، ثُمَّ

قال لنفسه : لن أفعل حتى أستاذن رسول الله ، وذكر لرسول الله ﷺ ، مادار بخلده ، فقال له ﷺ : « لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلواته في بيته سبعين عاما ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة : أغزوا في سبيل الله ، من قاتل في سبيل الله ، فواق ناقة وجبت له الجنة » .

وعلى هذا النسق يخاطب ابن المبارك بالشعر المعتكفين في المساجد للعبادة فيقول :

يا عابد الحرمين لو أبهرتنا	لعلمت أنك في العبادة تلعب
من كان يخضب جيده بدموحه	نحورنا بهدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله في باطل	فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن صيرنا	وهج السنابك والعبار الأطيب
ولقد أتانا من مقال نبينا	قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستوى <sup>(١)</sup> غبار خيل الله في	أنف امرئ ودخان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا	ليس الشهيد بميت لا يكذب

ولقد كان ابن المبارك منعمًا في الجهاد إلى درجة أن كثيرًا ممن كانوا يحبون أن يستمعوا منه كانوا يذهبون إليه فيجدونه في الغزو .

يقول أبو عبد الله : ذهبت لأسمع منه فلم أدركه ، وكان قدم فخرج إلى الثغر فلم أسمع منه ، ولم أره .

(١) هكذا أوردت وليست تلام الوزن ويمكن أن يوضع مكانها لا يجسمان ، أو لا يجسم .

ولقد ختم الله حياة ابن المبارك بالجهاد ، فإنه قد أدركه الوفاة وهو  
عائد من الجهاد ، يقول ابن سعد : « توفي بهيت في شهر رمضان  
منصرفه من الغزو » .

وبعد وفاة ابن المبارك رآه بعضهم فيما يرى النائم ، ومن هؤلاء  
محمد بن الفضل بن عياض قال : « رأيت عبد الله بن المبارك في المنام  
فقلت : أى الأعمال وجدت أفضل ؟ » .

قال : الأمر الذى كنت فيه .

قلت : الرباط والجهاد ؟ .

قال : نعم .

قلت : وأى شيء صنع ؟ .

قال : غفرتى مغفرة ما بعدها مغفرة ، وكلمتني امرأة من أهل  
الجنة ، أو امرأة من الحور العين .

وعن صخر بن راشد قال : رأيت عبد الله بن المبارك في منامى  
بعد موته ، فقلت :

أليس قدمت ؟ قال : بلى .

قلت : فما صنع بك ربك ؟ .

قال : غفرتى مغفرة أحاطت بكل ذنب .

قلت : فسفیان الثورى ؟ قال : بئح بئح ، ذاك ، ﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ  
اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَحَسُنَ أُولَئِكَ  
رَفِيقًا ﴾ (١) .

---

(١) النساء : من الآية ٦٩ .

ولم يكن ابن المبارك يقوم بالجهاد واقعياً فحسب ، وإنما كان يعمل بسيفه ، ويستحث على الجهاد بلسانه ، ويكتب عنه بقلمه .

لقد ألف في الجهاد كتاباً مستقلاً ، يقول عنه « حاجي خليفة » : « وهو أول مؤلف ألف فيه » .

ولقد حقق الأستاذ نزيه حماد هذا الكتاب تحقيقاً متقناً جميلاً ، ونشرته دار النور ببيروت في صورة حسنة .

والكتاب عبارة عن مجموعة من الأحاديث عن الرسول ﷺ ، ومن أقوال الصحابة رضوان الله عليهم ، وبعض أقوال التابعين - وهذه الأحاديث والروايات منشور بعضها في كتب الطبقات كالحلية وغيرها من الكتب التي ألفت عن ابن المبارك ، والكتب التي ألفها ابن المبارك . ومن كتاب الجهاد نقتطف ما يلي :

روى ابن المبارك بسنده عن<sup>(١)</sup> : محمد بن يسار عن قتادة أنه تلا هذه الآية : ﴿ إِنْ اللَّهُ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ ﴾<sup>(٢)</sup> فقال : ثامنهم الله فأغلى لهم .

وعن عتبة بن عبد السلمي - وكان من أصحاب النبي ﷺ - أن رسول الله ﷺ قال : « القتل ثلاثة رجال : رجل مؤمن جاهد بنفسه وماله في سبيل الله ، حتى إذا لقي العدو قاتلهم حتى يقتل ذلك الشهيد المتحن ، في خيمة الله تحت عرشه ، لا يفضله النبيون إلا بدرجة

---

(١) هذه الكلمة : « روى ابن المبارك بسنده » . نصiha صالحة لكل حديث يتلوه ، ولسنا في حاجة إل تكرارها .  
(٢) التوبة : الآية ١١١ .

النبوة ، ورجل مؤمن قرف على نفسه من الذنوب والخطايا ، جاهد بنفسه وماله في سبيل الله حتى إذا لقي العدو قاتل حتى يقتل ، فتلك مصمصة<sup>(١)</sup> عمت ذنوبه وخطاياها ، إن السيف محاء للخطايا. وأدخل من أبواب الجنة شاء ؛ فإن لها ثمانية أبواب ، ولجهنم سبعة أبواب ، وبعضها أسفل من بعض ، ورجل منافق جاهد بنفسه وماله في سبيل الله ، حتى إذا لقي العدو قاتل حتى يقتل فذلك في النار ، إن السيف لا يمحو النفاق .

وعن عبد الله بن عمر قال : الناس في الغزو جزءان : فجزء خرجوا يكثرون ذكر الله والتذكير به ؛ ويجتنبون الفساد في المسير ويواسون الصاحب ، وينفقون كرائم أموالهم ؛ فهم أشد اغتباطاً بما أنفقوا من أموالهم منهم بما استفادوا من دنياهم ؛ وإذا كانوا في مواطن القتل استحيوا من الله في تلك المواطن أن يطلع على رية قلوبهم ؛ أو خذلان للمسلمين ؛ فإذا قدروا على الغلول ؛ طهروا منه قلوبهم وأعمالهم ، فلم يستطع الشيطان أن يفتنهم ، ولا يكلم قلوبهم ، فيهم يعز الله دينه ، ويكبت عدوه .

وأما الجزء الآخر : فخرجوا فلم يكثروا ذكر الله ولا التذكير به ؛ ولم يجتنبوا الفساد ولم ينفقوا أموالهم إلا وهم كارهون ، وما أنفقوا من أموالهم رأوه مغرمًا وحزنهم به الشيطان ؛ فإذا كانوا عند مواطن القتال كانوا مع الآخر الآخر ، والخاذل والخاذل ؛ واعتصموا براءوس

(١) مصمصة : مصمص إياه حرك فيه الماء لينظف ، وفي القاموس المحيط ( في الحديث المرفوع عن عتبة بن عبد الله - القتل في سبيل الله مصمصة الذنوب أي مطهرة من دنس الخطايا ، وإنما أنت لأن القتل سبب الشهادة .

الجليل ، ينظرون ما يصنع الناس ؛ فإذا فتح الله للمسلمين ، كانوا أشدهم تخاطبًا بالكذب ؛ فإذا قدروا على الغلول ، اجترأوا فيه على الله ، وحدثهم الشيطان ، أنها غنيمة ؛ إن أصابهم رخاء بطروا ؛ وإن أصابهم حبس ؛ فتنهم الشيطان بالعرض ؛ فليس لهم من أجر المؤمنين شيء ، غير أن أجسادهم مع أجسادهم ، ومسيرهم مع مسيرهم ، دنياهم وأعمالهم شتى ، حتى يجمعهم الله يوم القيامة ثم يفرق بينهم) .  
وعن أبي هريرة يقول ، قال رسول الله ﷺ : « روحه في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها ، أو ما عليها » .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لولا أن أشق على أمتي - أو قال : على الناس - لأحييت ألا أتخلف عن سرية تخرج في سبيل الله ، ولكني لا أجد ما أحملهم عليه ، ولا يجدون ما يتحملون عليه ، ولشق عليهم أن يتخلفوا بعدى أو نحو ، ولوددت أني أقاتل في سبيل الله فأقتل ، ثم أحيى ثم أقتل ، ثم أحيى ثم أقتل » .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخرى عبد مسلم أبدًا » .

وعن أبي مصبح الحمصي قال : بينما نحن نسير بأرض الروم في صائفة عليها مالك بن عبد الله الخثعمي ، إذ مر مالك بجابر بن عبد الله وهو يمشى يقود بغلاله فقال له مالك : أي أبا عبد الله ، أركب فقد حملك الله .

فقال جابر : أصلح دابتي وأستغني عن قومي ، وسمعت رسول الله ﷺ يقول : « من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار » ،

فأعجب مالكا قوله ، وسار حتى إذا كان حيث يسمعه الصوت ، ناداه بأعلى صوته : أيا أبا عبد الله ، اركب فقد حملك الله ، فعرف جابر الذي أراد ، فأجابه ، فرفع صوته فقال : أصلح دابتي ، وأستغنى عن تومي .

وسمعت رسول الله ﷺ يقول : « من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار » .

فتوائب الناس عن دابهم ، فما رأيت يوماً أكثر ماشياً منه .

وعن أبي الأحسن ، أراه قال : بلغني أن أبا ذر قال :

ثلاثة يحبهم الله وثلاثة يشنؤهم الله ، فلقيته فقلت :

يا أبا ذر ما حدثت ؟ بلغني عنك ما تحدث به عن رسول ﷺ ،

أحييت أن أسمعك منك . قال : ما هو ؟

قلت : ثلاثة يحبهم الله وثلاثة يشنؤهم الله .

قال : قلته وسمعت .

قلت : فمن الذين يحبهم الله ؟

قال : رجل كان في ففة أو سرية ؛ فأنكشف أصحابه ، فنصب

نفسه ونحره حتى قتل أو يفتح الله عليه .

ورجل كان مع قوم في سفر ، فأطالوا السرى حتى أعجبهم أن

يمسوا الأرض فنزلوا ، فقام ، فتنحى حتى أيقظ أصحابه للرحيل .

ورجل كان له جار سوء فصبر على أذاه حتى يفرق بينهما موت

أو ظمن .

قلت : هؤلاء يحبهم الله فمن الذين يشنؤهم ؟ قال :

التاجر الخلاف ، أو البياع الخلاف ، والبخيل المنان ، والفقير  
المخال . \*

وعن ابن وائل قال : لما حضرت خالد بن الوليد الوفاة ، قال :  
لقد طلبت القتل مظانة ، فلم يقدر لي إلا أن أموت على فراشي ،  
وما من عمل شيء أرجى عندي بعد لا إله إلا الله من ليلة بثها وأنا  
مترس بفرسي والسماء تهلني ، منتظر الصبح حتى نغير على الكفار  
ثم قال : إذا أنا مت فانظروا سلاحي وفرسي فاجعلوه عدة في سبيل  
الله . فلما توفي ، خرج عمر على جنازته ، فذكر قوله : ما على نساء  
أبي الوليد أن يسفنن علي خالد من دموعهن ما لم يكن نقعاً أو لقلقة .  
قال ابن المختار : « النقع . التراب على الرأس . والقلقة :  
الصوت » .

وعن القاسم والحكم أن حارثة بن النعمان أتى رسول الله ﷺ  
وهو يناجي جبريل ، فجلس ولم يسلم فقال جبريل : « يا رسول الله ،  
أما أن هذا لو سلم لرددنا عليه ؟ »  
قال : وهل تعرفه ؟ .

قال : نعم هذا من الثمانين الذين صبروا معك يوم حنين أرزاقهم  
وأرزاق أولادهم على الله في الجنة » .

وعن يحيى بن أبي كثير أن رسول الله ﷺ قال :  
« من وضع رجله في ركابه فاصلا في سبيل الله فلدغته هامة أو  
وقعت دابة ، أو مات بأي حتف مات ، فهو شهيد » .  
وعن أبي هريرة قال : « أيسطيع أحدكم أن يقوم فلا يفتر ؟ ويصوم  
فلا يفطر ما كان حيا ؟ »

فقيل له : يا أبا هريرة ، ومن يطيق هذا !  
فقال : والذي نفسى بيده : إن يوم المجاهد فى سبيل الله أفضل  
منه .

وعن سعيد بن أبى هلال أن سليمان بن أبان حدثه « أن رسول  
الله ﷺ لما خرج إلى بدر أراد سعد بن خيثمة وأبوه أن يخرجوا جميعاً ،  
فذكروا ذلك للنبي ﷺ فأمرهما أن يخرج أحدهما فاستهما ، فخرج  
سهم سعد ، فقال أبوه : آثرنى بها يا بنى ، فقال يا أبت ، إنها الجنة ،  
لو كان غيرها آثرتك به - فخرج سعد مع النبي ﷺ ، فقتل يوم  
بدر ، ثم قتل خيثمة من العام المقبل يوم أحد .

وعن عبد الرحمن بن أبى صعصعة ، قال : قال رسول الله ﷺ :

« من ينظر لى ما فعل سعد بن الربيع ؟ .

فقال رجل من الأنصار : أنا يا رسول الله .

قال : فخرج بطوف فى القتلى حتى وجد سعداً جريحاً قد أثبت  
بآخر رمق .

فقال : يا سعد إن رسول الله ﷺ ، أمرنى أن أنظر له أمن الأحياء  
أنت ، أم فى الأموات ؟ .

قال : فإنى فى الأموات ، أبلغ رسول الله ﷺ منى السلام ، وقل  
له : إن سعداً يقول لك : جزاك الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته ،  
وأبلغ قومك عنى السلام وقل لهم : إن سعداً يقول لكم : إنه لا عذر  
لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم وفيكم عين تطرف .

وعن جابر بن عبد الله قال :

لما أراد معاوية أن يجرى الكظامة<sup>(١)</sup> ، قال : قيل - من كان له قتيل  
فليأت قتيله - يعنى قتلى أحد - قال :  
فأخرجناهم رطابا يتشون .

قال : فأصابت المسحاة أصبع رجل منهم فانفطرت دما قال أبو سعيد  
الخدري : ولا ينكر بعد هذا منكر أبدا .  
وعن جرير بن حازم قال - سمعت الحسن يقول :

لما حضر الناس باب عمر وفيهم سهيل بن عمرو وأبو سفيان بن  
حرب وتلك الشيوخ من قریش ، فخرج آذنه فجعل يأذن لأهل بدر  
لصهيب وهلال وأهل بدر وكان والله بدريا وكان يحبهم وكان قد  
أوصى بهم فقال أبو سفيان : ما رأيت كالיום قط إنه يؤذن لهذه العبيد  
ونحن جلوس لا يلتفت إلينا .

فقال سهيل بن عمرو : ويا له من رجل ما كان أعقله ، أيها القوم  
إني والله لقد أرى الذى فى وجوهكم ، فإن كنتم غضابا على أنفسكم ،  
دعى القوم ودعيتهم فأسرعوا وأبطأتم ، أما والله سبقوكم به من الفضل  
فيما لا ترون . أشد عليكم فوتا من بابكم هذا الذى تنافسونهم عليه .

ثم قال : أيها القوم : إن هؤلاء القوم قد سبقوكم بما ترون فلا سبيل  
لكم والله إلى ما سبقوكم إليه ، وانظروا هذا الجهاد فالزموه عسى أن  
يرزقكم شهادة ثم نفض ثوبه فلحق بالشام . فقال الحسن : صدق  
الله ، والله لا يجعل الله عبدا أسرع إليه كعبدا أبطأ عنه .

وعن أنس بن مالك أن أبا طلحة قرأ هذه الآية : ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا

---

(١) الكظامة : بالكسر ثم الوادى أو مجرى الماء فى باطن الأرض .

وَرِثَالًا ﴿١﴾ إِنْخِ الْآيَةِ ، فَقَالَ : أَمَرْنَا اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَاسْتَغْفِرْنَا شِيُوخًا وَشِبَانًا ، جَهْزُونِي فَقَالَ بَنُوهُ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ قَدْ غَزَوْتَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبَى بِكَرٍ وَعَمْرٍ فَنَحْنُ نَغْزُو عَنْكَ الْآنَ. فَغَزَا الْبَحْرَ، فَمَاتَ ، فَطَلَبُوا جَزِيرَةَ يَدْفَنُونَهُ ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهَا إِلَّا بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ وَمَا تَغْيِيرٌ . وَعَنْ أَبِي الْجَهْمِ بْنِ حَذِيفَةَ الْعَدَوِيِّ ، قَالَ : « انْطَلَقْتُ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ أَطْلُبُ ابْنَ عَمِي ، وَمَعِيَ شَنْةٌ مِنْ مَاءٍ وَإِنَاءٌ ، فَقُلْتُ : إِنْ كَانَ بِهِ رِمَاقٌ (٢) سَقَيْتُهُ مِنْ الْمَاءِ وَمَسَحْتُ بِهِ وَجْهَهُ فَإِذَا أَنَا بِهِ يَنْشِغُ (٣) ، فَقُلْتُ أَسْقِيكَ ؟ فَأَشَارَ أَنْ نَعَمْ ، فَإِذَا رَجُلٌ يَقُولُ : آهَ ا فَأَشَارَ ابْنُ عَمِي أَنْ انْطَلِقَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ هِشَامُ بْنُ الْعَاصِ أَخُو عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ فَاتَيْتُهُ .

فَقُلْتُ : أَسْقِيكَ ؟ فَسَمِعَ آخَرَ يَقُولُ : آهَ ا فَأَشَارَ هِشَامُ أَنْ انْطَلِقَ بِهِ إِلَيْهِ فَجِئْتُهُ فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى هِشَامٍ فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ ، ثُمَّ أَتَيْتُ ابْنَ عَمِي ، فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ .  
وَعَنْ مُوسَى بْنِ أَنَسٍ قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ إِنَّ الَّذِينَ يَغْضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﴿١﴾ إِنْخِ الْآيَةِ ، قَالَ :

(١) العوبة : الآية ٤١ .

(٢) الرمق : بقية الحياة والرماق: قليل يمسك الرمق وعلى هذا فكلمة الرمق أنسب للمعنى .

(٣) ينشغ : يشفق حتى يكاد ينشى عليه .

(٤) الحجرات : الأجان ٢ ر ٣ .

فقد ثابت بن قيس في بيته ، وقال : لا أراني إلا كنت أرفع الصوت على رسول الله ﷺ ، فسأل عنه ، فقال رجل من القوم : إن شئت علمت لك علمه يا رسول الله فأتاه ، فوجده منكسر الوجه ، فقال : إن رسول الله ﷺ افتقدك وسأل عنك . فقال : إني كنت أرفع الصوت على رسول الله ﷺ حتى نزلت هذه الآية ، وإنه من أهل النار .

فأتى رسول الله ﷺ فذكر له ما قال ، قال موسى بن أنس : فأتاه المرة الثانية ببشارة عظيمة ، فقال له : إنك لست من أهل النار ، ولكنك من أهل الجنة .

وعن ثابت بن قيس الأنصاري قال : يا رسول الله ، لقد خشيت أن أكون قد هلكت .

قال : ولم ؟

قال : نهانا الله أن نتحمد بما لم نفعل ، وأجدني أحب الحمد .

ونهاننا عن الخيلاء ، وأجدني أحب الجمال .

ونهاننا تبارك وتعالى أن نرفع أصواتنا فوق صوتك ، وأنا امرؤ جهير الصوت .

فقال رسول الله ﷺ : يا أبا ثابت ، ألا ترضى أن تعيش حميدًا وتقتل شهيدًا ويدخلك الله الجنة ؟ .

قال : بلى يا رسول الله . قال : فعاش حميدًا ، وقيل شهيدًا يوم مسيحة الكذاب .

وعن عثمان بن أبي سودة ، قال : بلغنا في هذه الآية ﴿ وَالسَّابِقُونَ ﴾

السَّابِقُونَ ﴿١﴾ قال : أولهم رواحًا إلى المسجد ، وأولهم خروجًا في سبيل الله عز وجل .

وعن أبي عتبة الخولاني أنه كان يومًا في مجلس خولان في المسجد جالسًا ، فخرج عبد الله بن عبد الملك هاربًا من الطاعون ، فقال :  
إنا لله وإنا إليه راجعون ، ما كنت أرى أن أبقى حتى أسمع مثل هذا أفلا أخبركم عن خلال كان عليها إخوانكم ؟

أولها : لقاء الله عز وجل كان أحب إليهم من الشهيد .

والثانية : لم يكونوا يخافون عدوًا قتلوا أو كثروا .

والثالثة : لم يكونوا يخافون عوزًا من الدنيا وكانوا واثقين بالله عز وجل أن يرزقهم .

والرابعة : إن نزل بهم الطاعون لم يرحوا حتى قضى الله فيهم ما قضى .

وعن عمرو بن عتبة بن فرقد : سألت الله عز وجل ثلاثًا ، فأعطاني اثنتين وأنا أنتظر الثالثة .

سألته أن يزهلني في الدنيا ، فما أبالي ما أقبل منها وما أدبر .

وسألته أن يقويني على الصلاة ، فرزقني منها .

وسألته الشهادة ، فأنا أرجوها .

وعن العلاء بن هلال الباهلي : أن رجلا من قوم صلة قال لصلة :  
يا أبا الصهباء ، إني رأيت أني أعطيت شهادة ، وأعطيت أنت شهادتين ،  
فقال له صلة : خيرًا رأيت ، تستشهد وأستشهد أنا وابني .

---

(١) الواقعة : الآية ١٠ .

قال : فلما كان يوم يزيد بن زياد ، لقيهم الترك بسجستان ، فكان أول جيش انهزم من المسلمين ذلك الجيش .

فقال صلة لابنه : يا بني إلى أمك . فقال : يا أبت أتريد الخير لنفسك وتأمرنى بالرجعة ؟ أنت والله كنت خيراً لأمي مني .

قال : أما إذا قلت هذا فتقدم ، قال : فتقدم ، فقاتل حتى أصيب . فرمى صلة عن جسده ، وكان رجلاً رامياً حتى تفرقوا عنه وأقبل يمشى حتى قام عليه ، فدعا له ، ثم قاتل حتى قتل .

وعن معاذة امرأة صلة قالت : لما جاءها نعي زوجها وابنها وأنه قدمه بين يديه وقال لابنه تقدم فأحتسبك ، فقتل ( ١/٢٦ ) ، ثم قتل الأب . فلما جاءها نعيهما ، جاء النساء ، فقالت : « إن كنتن جستن لتنهتتا بما أكرمنا الله به فذلك ، وإلا فارجمن » .

وعن ثابت قال : وكان صلة يأكل يوماً ، فأتاه رجل ، فقال : مات أخوك .

فقال : هيهات ، قد نعي إلى ، اجلس .

فقال الرجل : ما سبقني إليك أحد ؟

فقال : قال الله عز وجل :

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾<sup>(١)</sup> .

وعن جرير بن حازم قال سمعت الحسن يقول : قال رجل من أهل البادية لعمر : يا خير الناس ، يا خير الناس . فقال : ما يقول ؟

قيل : يقول يا خير الناس .

(١) الزمر : الآية ٣٠ .

قال : ومحكم ، إني لست بخير الناس .

قال : والله يا أمير المؤمنين ، إن كنت لأراك خير الناس .

قال : أفلا أخبرك بخير الناس ؟

قال : بلى .

قال : فإن خير الناس رجل بلغه الإسلام ، وهو في داره وأهله وماله ، فعمد إلى صرمة<sup>(١)</sup> من إبله ، فحدرها إلى دار من دور الهجرة فباعها ، فجعل ثمنها عدة في سبيل الله عز وجل ، فجعل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو بين يدي المسلمين وبين عدوهم ، فذلك خير الناس .

قال : يا أمير المؤمنين إني رجل من أهل البادية ، وإن لي أشغالا ، وإن لي ، وإن لي ، فأمرني بأمر يكون لي ثقة ، وأبلغ به .

فقال : أرني يدك فأعطاه يده .

فقال : تعبد الله عز وجل ولا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت وتسمع وتطيع ، وعليك بالعلانية ، وإياك والسر وعليك بكل شيء إذا ذكر أو نشر لم تستح منه ، ولم يفضحك ، وإياك وكل شيء إذا ذكر ونشر استحيت منه وفضحك .

فقال يا أمير المؤمنين : أفأعمل بهذا ، فإذا لقيت ربي عز وجل قلت أمرني بهن عمر ؟ .

قال : خذهن ، فإذا لقيت ربك عز وجل فقل ما بدا لك .

(١) الصرمة : بالكر القطعة من الإبل ما بين العشرة إلى الأربعين .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : كنت عند رسول الله ﷺ وعنده فيض من الناس فجاء رجل ، فقال : يا رسول الله ، أى الناس خير منزلة عند الله عز وجل بعد أنبيائه وأصفيائه ؟ .

قال : المجاهد فى سبيل الله عز وجل بنفسه وماله حتى تأتبه دعوة الله عز وجل وهو على متن فرسه أو آخذ بعنانه .

قال : ثم من يا نبي الله ؟ قال فخطب بيده وقال :

امروا بناحية يحسن عبادة الله عز وجل ويدع الناس من شره .

قال : فأى الناس شر منزلة عند الله عز وجل ؟ .

قال : المشرك بالله .

قال : ثم ؟ قال: ذو سلطان جائر، يجور عن الحق ، وقد مكن له .  
عن المبارك بن فضالة عن الحسن أنه سمعه يقول فى قول الله عز وجل :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ﴾<sup>(١)</sup> إِنْخ الآية ، قال : أمرهم أن يصبروا على دينهم ، ولا يتركوه لشدة ولا رخاء ولا سراء ولا ضراء ، وأمرهم أن يصابروا الكفار ، وأن يربطوا المشركين .

وعن أبى صالح الحمصى أن رسول الله ﷺ قال : « يبعث الله عز وجل يوم القيامة أقواما يمرون على الصراط كهيئة الريح ، ليس عليهم حساب ولا عذاب ، قالوا : ومن هم يا رسول الله ؟ - قال : أقوام يدركهم موتهم فى الرباط .

(١) آل عمران : الآية ٢٠٠ .

وعن أبي عمران الأنصاري أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاثة أعين لا تحرقهم النار أبدًا ، عين بكت من خشية الله ، وعين سهرت بكتاب الله ، وعين حرمت في سبيل الله عز وجل » .

وعن صفوان بن عبد الله بن صفوان أن رجلا قال يوم صفين : اللهم العن أهل الشام .

فقال علي : لا تسبوا أهل الشام جما خفيًا ، فإن فيهم قوما هم كارهون لما ترون ، وإن فيهم الأبدال .

وعن أبي قلابة ، قال رسول الله ﷺ : « لا يزال في أمتي سبعة لا يدعون الله عز وجل بشيء إلا استجيب ، بهم تنصرون ، وبهم تمطرون وحسبت أنه قال : وبهم يدفع عنكم » .

وعن مجاهد يقول : صحبت ابن عمر لأخدمه ، فكان يخدمني .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : تعلموا المهن ، فإن احتاج الرجل إلى مهنته انتفع به .

قال : وحدثنا أشياءنا أن معاوية بن أبي سفيان كان يقول : ليرفع أحدكم ثوبه وليصلحه ، فإنه لا جديد لمن لا خلق له .

وعن رافع أن عمرو بن عتبة كان يشترط على أصحابه أن يكون خادهم ، قال : فخرج في الرعي في يوم حار ، فأتاه بعض أصحابه ، فإذا هو بالقمامة تظله ، وهو نائم . فقال أبشر يا عمرو ! فأخذ عليه عمرو ألا يخبر به .

وعن بلال بن سعد عن رأي عامر بن عبد قيس بأرض الروم على بغلة يركبها عقبة وحمل المهاجرين عقبه .

وقال بلال بن سعد وكان إذا فصل غازيا وقف يتوسم الرفاق ،  
فإذا رأى رقة توافقه قال : يا هؤلاء ! إني أريد أن أصبحكم على أن  
تعطوني من أنفسكم ثلاث خصال فيقولون : ما هي ؟

قال : أكون لكم خادما لا ينازعني عنى أحد منكم الخدمة ،  
وأكون مؤذنا لا ينازعني أحد منكم الأذان ، وأنفق فيكم بقدر طاقتي ،  
فإذا قالوا نعم ، انضم إليهم ، فإن نازعه أحد منهم شيئا من ذلك ،  
رحل عنهم إلى غيرهم .

وعن أبي قلابة أن النبي ﷺ كان يرافق أصحابه في السفر رفقا ،  
فجعلت رقة منهم يهرفون<sup>(١)</sup> برجل منهم قالوا : يا رسول الله ، ما رأينا  
شله ، إن نزل فصلاة ، وإن ارتحل فقراءة وصيام لا يفطر - فقال  
رسول الله ﷺ : من كان يكفيه كذا ؟

قالوا : نحن .

قال : كلكم خير منه .

وعن شرحبيل بن شريك أنه سمع أبا عبد الرحمن عبد الله بن يزيد  
لجلى يقول سمعت عبد الله بن عمرو يقول قال رسول الله ﷺ :  
خير الأصحاب عند الله عز وجل خيرهم لصاحبه ، وخير الجيران  
عند الله عز وجل خيرهم لجاره .

وعن عبد الله بن عمر يقول : طوبى للغرباء الذين هم صالحون  
د فساد الناس .

(١) قال ابن الأثير : يهرفون بصاحب لهم ، أى يمدحونه ويطنون في الثناء عليه .  
للنهاية ٢٤٧/٤ .

وعن أبي بكر الصديق يقول : إن دعوة الأخ في الله عز وجل مستجابة .

وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال : بلغ عمر بن الخطاب رضى عنه أن أبا عبيدة حصر بالشام ، وتألّب عليه العدو ، فكتب إليه عمر : سلام عليكم ، أما بعد :

فإنه ما نزل بعهد مؤمن من منزلة إلا جعل الله عز وجل بعدها فرجاً ، ولن « يغلب عسر يسرين » .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾<sup>(١)</sup> .

قال فكتب إليه أبو عبيدة . سلام ، أما بعد :

فإن الله عز وجل يقول في كتابه<sup>(٢)</sup> : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَكِبَارٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ .

قال : فخرج عمر بكتابه مكانه ، فقعده على المنبر ، فقرأه على أهل المدينة ، فقال : يا أهل المدينة ! إنما يعرض بكم أبو عبيدة ، أو أن ارغبوا في الجهاد .

وعن أبي نجيع السلمى ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول :

(١) آل عمران : الآية ٢٠٠ .

(٢) الآية ٢٠ من سورة الحديد .

« من شاب شيبة في سبيل الله عز وجل كانت له نوراً يوم القيامة » .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، قال : لولا ثلاث ، لولا أن أنير في سبيل الله عز وجل ، أو ينبر جينى في السجود ، أو أقاعد قومًا يتتقون طيب الكلام كما يتقى طيب التمر ، لأحببت أن أكون قد لحقت بالله عز وجل .

وعن ابن عمر يقول : لسفرة في سبيل الله عز وجل أفضل من خمسين حجة .

وعن مكحول ، قال قال رسول الله ﷺ : « ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة ؟ » قالوا : بلى . قال : فاغزوا في سبيل الله عز وجل » .

وعن عبد الله بن قيس قال : سمعت أبي يقول وهو بحضرة العدو ، قال رسول الله ﷺ : « إن أبواب الجنة تحت ظللال السيوف : فقام رجل رث الهيئة ، فقال : يا أبا موسى أنت سمعت رسول الله ﷺ يقول ؟ قال : نعم . قال : فجاء إلى أصحابه ، فقال : أقرأ عليكم السلام ثم كسر جفن سيفه ، فألقاه ثم مضى بسيفه قدمًا ، يضرب به حتى قتل » .



## الفصل الرابع

### المحدث و الحديث

المحدث :

سبق أن كتبنا عن السنة ما يلي :

إن السنة دعوة بالحسنى إلى الرقى الأخلاقي الذي تجرى وراءه الإنسانية المهدبة ، إنها دعوة إلى التاجر أن يكون صدوقاً ، فيحشر مع النبيين والصدّيقين والشهداء .

وإلى العامل أن يتقن عمله ، لأن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه .

وإلى الصانع أن يؤدي العمل كما يجب ، حيث أخذ الأجر ، ومن أخذ الأجر حاسبه الله على العمل .

وهي دعوة إلى الأب باعتباره أباً ، وإلى الأم في وضعها كأم ، وإلى الأخ في مهمته كأخ ، وإلى غيرهم من أفراد المجتمع أن يرضى كل منهم ما وكل إليه من أمر رعيته ، لأنه مسئول عن رعيته ، « وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .

وهي دعوة للناس إلى الأمانة ، حيث أنه لا إيمان لمن لا أمانة له ؟

وإلى الصدق ، وأن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً .

وإلى الرحمة : الرحمة العامة الشاملة ، وصلوات الله وسلامه على

من قال : « إنما أنا رحمة مهداة » .

ومن قال : « ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » .  
وخذ أى خلق كريم تمنى أن يسير عليه المجتمع : فستجد فى  
السنة دعوة إليه بوسيلة وأخرى ، وثالثة .  
وهى فى هذه الدعوة تنبه دائماً إلى دور الأمة الإسلامية فى الأخلاق  
العالمية .

إن دورها إنما هو دور الرائد فى الرعية ، وعلى الرائد دائماً أن يكون  
المثل الأعلى ، والأسوة الكريمة ، والقُدوة الصالحة .

ولقد كان رسول الله ﷺ : الصورة الحية الناطقة التى طبقت -  
كمبادئ إنسانية ممكنة - الخلق الذى رسمه الله وأحبه للإنسانية جمعاء ،  
والذى عبرت عنه السنة أجمل تعبير وأبلغه .

ومن أجل هذا التقدير الكريم للسنة الشريفة ، كان العلماء المستثيرون  
فى كل عصر يجاهدون من أجلها ، ومن أجل مكارم الأخلاق التى  
تعبر عنها ، وكان هؤلاء العلماء - علماء السنة - يعرفون بسيماهم  
فقد كانوا من الزهد فى حطام الدنيا . بحيث لا ينازعون الناس فى  
دنياهم .

لقد كانوا مشغولين عن جمع المال بخدمة الدين ، وكانوا مشغولين  
عن الجاه بغرس الخلق الصالح الكريم ، وكانوا مشغولين عن السلطان  
بمن بيده السلطان يؤتبه من يشاء وينزعه ممن يشاء : مالك الملك ذى  
الجلال والإكرام .

وكانوا صادقين ، لقد كان الصدق ديدنهم وفطرتهم .  
وكانوا صابرين على الحياة . وصابرين على العمل : لقد أقاموا  
نهارهم ، وأسهروا ليلهم عملاً على مرضاة الله ورسوله ﷺ .

والمثل الذي تحب أن نسوقه - كصورة هؤلاء القوم - هو : الإمام أحمد بن حنبل ، رضى الله عنه ، إنه المحدث الذى حاول أن يكون صورة صادقة لما كان عليه الرسول ﷺ ، فى الزاوية الأخلاقية .

وسيرة الإمام رضوان الله عليه ، مثل أهل فى التمسك بما يراه حقاً ، وفى الصبر على ما يناله فى سبيل التمسك بالحق .

على أن كل من تشبع بالسنة حقاً ، إنما هو صورة قريبة بقدر المستطاع من الإمام أحمد .-

ولقد كان الإمام البخارى وغيره ممن أشربت نفوسهم حب السنة أمثلة كريمة للمخلق الكريم .

والأمثلة الكريمة للمخلق الكريم هدف دائماً لسهام النماذج الأثيمة التى استهواها الشيطان فى قليل أو فى كثير : إنه النزاع الدائم بين الفضيلة وأصحابها ، وبين الممثلين لنزعات الهوى والضلال .

ولولا وجود هذه المثل العليا لمكارم الأخلاق فى كل عصر ، لفقدت الإنسانية الثقة بنفسها ، ولما اطمأن إنسان لإنسان ، ولما وثق شخص بآخر .

ولقد ربت السنة رجالاً ، وخصائصها التى ربت بها الرجال موجودة فيها ، لأنها من طبيعتها ومن ذاتها ، ولقد شاهدت الإنسانية واعترفت بسمو هؤلاء الرجال وأولتهم ثقتها وتقديرها .

إن الإمام أحمد بن حنبل ، وإن الإمام البخارى ، وإن أمير المؤمنين فى الحديث : الإمام سفيان الثورى ، وأمثال هؤلاء ، رضى الله عنهم : منارات يهتدى بهم عشاق المثل العليا الأخلاقية .

لا بد إذن من العمل على نشر السنة وإذاعتها ومحاولة الإكثار من النفوس التي تتشربها وتحققها وتمثلها وتحياها .  
لا بد من نشرها وطنية .

ولا بد من نشرها إنسانية ، لأنها تعبر عن أرقى مستوى إنساني .  
ولا بد من نشرها دينياً .

ولا بد من نشرها للثروة اللغوية .

وما من شك في أن للسنة جواً فكرياً : فالرسول ﷺ . يتحدث عن إصلاح المجتمع ، وعن عوامل الهدم التي تعمل على تقويضه ، وعن عوامل البناء التي تعمل على إقامته على قواعد سليمة ، ويتحدث عن النظم التي ينبغي أن تسود المجتمع الإنساني ، وعن الأوضاع التي يجب أن تستقيم .

وللسنة جو لغوي : فالرسول ﷺ قد أوتى جوامع الكلم ، وكلامه ﷺ أبلغ الكلام البشري ، ونشر السنة عامل من أهم العوامل على ترقية اللغة التي يكتب بها الكتاب ، وعلى وضع الناشئين والمثقفين في وضع أدبي ممتاز من حيث اللغة ، ومن حيث الأسلوب .

وللسنة جو روحي : إنها تهذيب للنفس ، وتربية للروح وسمو بالأخلاق إلى درجة لا تجارى ، وصلى الله وسلم على من قال : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

ورحم الله شوقي إذ يقول :

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا  
ومن أجل ذلك كله كان نشر السنة واجباً دينياً ، وعملاً اجتماعياً كريماً ، وواجباً وطنياً حمياً ، وإصلاحاً أخلاقياً سامياً .

وهو على كل حال ضرورة وطنية ملحة في عصر تحاول الرذيلة فيه أن تعمم الانحلال الخلقى في كل أسرة ، وفي كل بيت ويحاول الفساد أن يأتي على مقدسات الأمة ومقوماتها . من عرض وشرف وكرامة . ودراسة السنة هي دراسة الفن في السنة ، أي بلاغتها وجمالها ومن أجل الأخلاق في السنة .

ومن أجل التشريع وبيان التشريع .  
وحباً في صاحب السنة ، صلوات الله وسلامه عليه ، الذي رسم به سلوكه وبقوله أسى ما يمكن أن تصل الإنسانية إليه في مختلف عصورها .

لقد أحب الله ﷺ : مثالا أخلاقيا كريماً رسمه سبحانه في القرآن الكريم قولاً ، فكان الرسول ﷺ الصورة التطبيقية الكاملة للرسم الإلهي ، وكان بذلك الإنسان الكامل .

لقد كان المثل الأعلى في الرحمة ، والمثل الأعلى في الكفاح والمثل الأعلى في الصبر ، المجاهد المتفائل ، والمثل الأعلى في الصدق في الإخلاص ، في الوفاء ، في البر في الكرم .

ولقد وصفه الله سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾<sup>(١)</sup> ، ولا ريب في أن الأمة الإسلامية حينما تقتدى بالرسول ﷺ : إنما تقتدى بأعظم البشر رجولة وإنسانية .

وتقتدى بمن أحب الله سبحانه أن تقتدى به : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ، لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ، وَذَكَرَ

(١) سورة القلم : الآية ٤ .

الله كثيراً<sup>(١)</sup> ، وإن العمل على نشر السنة إنما هو توجيه للاقتداء  
بالرسول ﷺ .

وعبد الله بن المبارك واحد من هؤلاء المجاهدين في نشر السنة ،  
ولقد كان مؤهلاً لها بكل المؤهلات التي يستلزمها جو السنة ، ومن  
ذاك :

#### ١ - الإخلاص :

يقول يحيى بن معين : ما رأيت أحداً يحدث لله إلا ستة نفر ، منهم  
عبد الله بن المبارك .

وعن المسيب بن واضح يقول : سمعت ابن المبارك وقيل له : الرجل  
يطلب الحديث لله يشتد في سنده ، قال : « إذا كان يطلب الحديث  
لله فهو أولى أن يشتد في سنده » .

#### ٢ - الذاكرة القوية :

يقول الحسين بن عيسى أخبرني صخر بن المبارك قال : كنا غلماناً  
في الكتاب ، فمررت أنا وابن المبارك ورجل يخطب ، فخطب خطبة  
طويلة ، فلما فرغ قال لي ابن المبارك : قد حفظتها ، فسمعه رجل  
من القوم ، فقال : هاتها ؟ فأعادها عليهم ابن المبارك وقد حفظها .  
ويقول ابن المبارك نفسه : « ما أودعت قلبي شيئاً قط فخانني » .  
ويقول نعيم بن حماد : سمعت عبد الله بن المبارك قال : قال لي أبي :  
لعن وجدت كعبك لأحرقتها ، قال : فقلت له : وما لي من ذلك وهي  
في صدري ؟ .

(١) سورة الأحزاب : الآية ٢١ .

### ٣ - حب السنة :

يصور هذا الحب ما يرويه نعيم بن حماد ، يقول : كان عبدالله بن المبارك يكثر الجلوس في بيته ، فقيل له : ألا تستوحش ؟ فقال : كيف أستوحش وأنا مع النبي ﷺ وأصحابه ؟ .

ولقد حاول بعض الناس أن يثنيه عن الاشتغال بدراسة الحديث للناس فامتنع فترة من الزمن ولكنه لم يطق صبراً على ذلك ، يقول الحسن بن عبدالله بن شاذان ، حدثنا أحمد بن أبي الخوارى قال : سمعت أبا أسامة يقول : مررت بعبدالله بن المبارك بطرسوس وهو يحدث فقلت : يا أبا عبد الرحمن إني لأنكر هذه الأبواب والتصنيف الذي وضعتموه ، ما هكذا أدركنا المشيخة ، قال : فأضرب عن الحديث نحواً من عشرين يوماً ، ثم مررت به وقد احتوشوه وهو يحدث فسلمت عليه ، فقال : يا أبا أسامة شهوة الحديث .

وينصح ابن المبارك الناس بالاعتماد على السنة :

عن عبدان قال سمعت ابن المبارك يقول : ليكن الذي تعتمدون عليه هذا الأثر ، وخذوا من الرأي ما يفسر لكم الحديث .

وينصح القضاة فيقول لأحدهم : «إن ابتليت بالقضاء فعليك بالأثر» .

ومن جبه للسنه أنه كان يوقر الحديث توقيراً عظيماً ، يقول بشر بن الحارث : سألت رجل ابن المبارك عن حديث وهو يمشى فقال : ليس هذا من توقير العلم ، قال بشر : فاستحسنته جداً .

ومن طرائفه في هذا الباب القصة التالية :

جاء عبد الله بن أبي العباس الطرسوسي - وكان والياً بمرو - إلى منزل عبدالله بن المبارك بالليل ومعه كتابه والدواة والقرطاس معه ،

قال : فسأله عن حديث فأنى أن يحدثه ، ثم سأله عن حديث فأنى أن يحدثه - ثلاث مرات - فقال لكاتبه : اطو قرطاسك ، ما أرى أبا عبد الرحمن يراتنا أهلاً أن يحدثنا ، فلما قام يركب مشى معه ابن المبارك إلى باب الدار ، فقال له : يا أبا عبد الرحمن لم لم ترنا أهلاً أن تحدثنا وتمشى معنا ؟ فقال : إني أحببت أن أذل لك بدنى ولا أذل لك حديث رسول الله ﷺ .

ومن طرائفه في بيان السنة في مختلف المواقف ما يرويه حميد قال يعطس رجل عند ابن المبارك قال : فقال له ابن المبارك : إيش يقول الرجل إذا عطش ؟ قال يقول « الحمد لله . قال : فقال له ابن المبارك : يرحمك الله ، قال : فعجبنا كلنا من حسن أدبه .

ويقول علي بن الحسين بن شقيق : قمت مع ابن المبارك ليلة باردة ليخرج من المسجد ، فذاكرني عند الباب بحديث وذاكرته ، فما زال يذكرني حتى جاء المؤذن فأذن للفجر .

٤ - التحرى :

عن أبي إسحاق الطالقاني قال : سألت ابن المبارك عن الرجل يصلى عن أبيه ؟ فقال : من يرويه ؟

قلت : شهاب بن خراش ، قال : ثقة .

عمن ؟ قلت : عن الحجاج بن دينار ، قال ثقة .

عمن ؟ قلت : عن النبي ﷺ قال : بين النبي ﷺ وبينه مفاوز تنقطع فيها أعناق الإبل .

وسئل ابن المبارك عن تأخذ ؟ فقال : من طلب العلم لله ، وكان

فى إسناده أشد ، قد يلقى الرجل ثقة وهو يحدث عن غير ثقة ، ويلقى الرجل غير ثقة وهو يحدث عن ثقة : ولكن ينبغى أن يكون ثقة عن ثقة .

ومن أجل كل ذلك كان تقدير المحدثين له عظيما .  
وقال على بن صدقة سمعت أبا أسامة يقول : ابن المبارك فى أصحاب الحديث مثل أمير المؤمنين فى الناس .

وقال القواريرى : لم يكن ابن مهدي يقدم عليه وعلى مالك فى الحديث أحداً .

وقال ابن معين : « كان كيساً مثبتاً ثقة ، وكان عالماً صحيح الحديث » .

وقال أبو وهب محمد بن مزاحم :  
« العجب ممن يسمع الحديث من ابن المبارك عن رجل ، ثم يأتى ذلك الرجل حتى يحدثه به » .

وقال أحمد : « لم يكن فى زمانه أطلب للعلم منه ، جمع أمراً عظيما ، ما كان أحد أقل سقطاً منه ، كان رجلاً صاحب حديث حافظاً وكأنه يحدث من كتاب » .

حدثنا عبد الرحمن بن يوسف بن خراش قال : « عبدالله بن المبارك مروى ثقة » .

حدثنا أبو مسلم صالح بن أحمد بن عبدالله العجلي حدثنى أبى قال : عبدالله بن المبارك خرسانى ثقة ، ثبت فى الحديث ، رجل صالح .  
عن فضالة النوسى ، قال : كنت أجالس أصحاب الحديث بالكوفة ،

وكانوا إذا تشاجروا في حديث قالوا : « مروا بنا إلى هذا الطبيب حتى نسأله ، يعنون عبدالله بن المبارك » .

ولقد استفاض المؤرخون في ذكر من أخذ ابن المبارك عنهم ، وفي ذكر من أخذوا عنه ، ونحن هنا نقتصر على ما أورده في ذلك الخطيب البغدادي :

سمع هشام بن عروة ، وإسماعيل ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، وموسى بن عقبة ، وسعيد الحريري ، ومعمربن راشد ، وابن جريح وابن أبي ذئب ، ومالك بن أنس ، وسفيان الثوري ، وشعبة والأوزاعي والليث بن سعد ، ويونس بن يزيد ، وإبراهيم بن سعد ، وزهير بن معاوية ، وأبا عوانة .

ثم يقول : وكان من الرهانيين في العلم ، الموصوفين بالحفظ ، ومن المذكورين بالزهد .

أما الذين أخذوا عنه فمنهم : داود بن عبد الرحمن العطار ، وسفيان بن عيينة ، وأبو إسحاق الفزاري ، ومعمربن سليمان ، ويحيى بن سعيد القطان ، وعبد الرحمن بن مهدي ، وعبدالله بن وهب ، ويحيى بن آدم ، وعبد الرازق بن همام ، وأبو أسامة ، ومكي بن إبراهيم ، وموسى بن إسماعيل ، ومسلم بن إبراهيم ، وعبدة بن عثمان ، ويعمر بن بشر ، وأبو النضر هاشم بن القاسم ، ويحيى بن معين ، وأبو بكر بن أبي شيبة ، والحسن بن الربيع البوارني ، والحسن بن عرفة ، ويعقوب الدورقي ، وإبراهيم بن مجشور ، وغيرهم .

ثم يقول الخطيب البغدادي : « قدم عبدالله بغداد غير مرة وحدث بها » .

ويقول الذهبي : حدث عنه خلق لا يحصون من أهل الأقاليم فإنه من صباه ما كلف عن السفر ، وقال وهو يذكر من أخذ عنهم ، حتى إنه كتب عن هو أصغر منه .

ويختم بيان شعور ابن المبارك نحو السنة بأنه قيل له :

إلى متى نكتب هذا الحديث ؟

فقال . لعل الكلمة التي انتفع بها ما كتبتها بعد .

وكتب ابن المبارك تسير على نسق التأليف في عصره ، فهي أحاديث عن الرسول ﷺ وروايات عن الصحابة والتابعين وكلمات يسيرة نادرة من المؤلف هنا أو هناك .

وبين أيدينا لابن المبارك كتاب الجهاد ، وقد أوردنا خلاصة كافية عنه - وكتاب الزهد والرقائق وبه ٢٠٦٣ ألفان وثلاثة وستون حديثاً ، ورواية عن الرسول ﷺ وعن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم وقد حققه وعلق عليه الأستاذ المحدث المحقق الشيخ حبيب الأعظمي .

وقد بذل المحقق فيه جهداً مشكوراً حتى أخرجه في صورة دقيقة وفي طبعة أنيقة ، فجزاه الله خير الجزاء .

وقد جمعنا قطعة صالحة من أحاديث ابن المبارك ورواياته من كتاب الحلية ومن غيره ، واعتمدنا في الكثير منها على كتاب الزهد والرقائق ونسقناها أبواباً لتسهيل الإفادة منها ، وهي أحاديث وروايات متناسقة مع الروح العامة لابن المبارك في صلاحه وتقواه ، وفي تعبه وتنسكه ، وفي روعه وزهده ، وفيما يلي الأحاديث التي جمعناها :

## القرآن

روى ابن المبارك بسنده عن عبد الله بن مسعود قال : إذا أردتم العلم فاثيروا القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين .

أبى الأحوص عن عبد الله قال : إن هذا القرآن مأدبة الله فمن دخل فيه فهو آمن .

ابن عباس قال : ما يمنع أحدكم إذا رجع من سوقه أو من حاجته إلى أهله أن يقرأ القرآن فيكون له بكل حرف عشر حسنات .

عبد الله قال : اقرءوا القرآن فإنكم تؤجرون عليه بكل حرف عشر حسنات ، أما إني لا أقول ألم حرف ، ولكن الألف حرف ، واللام حرف ، والميم حرف .

أبى هريرة قال : البيت يتلى فيه كتاب الله كثر خيره ، وحضرته الملائكة وخرجت منه الشياطين ، وإن البيت الذي لم يتلى فيه كتاب الله ضاق بأهله وقل خيره وحضرته الشياطين ، وخرجت منه الملائكة .

عن الحسن أنه بلغه أن النبي ﷺ كان يقول : ألا إن أصفر البيوت من الخير بيت صفر من كتاب الله ، والذي نفس محمد بيده إن الشيطان ليخرج من البيت أن يسمع سورة البقرة فيه .

سهل بن سعد الساعدي قال : بينا نحن نقترئ إذ خرج علينا

الرسول ﷺ فقال الحمد لله ، كتاب الله واحد ، وفيكم الأخيار ،  
فيكم الأحمر والأسود ، اقرءوا ، اقرءوا ، اقرءوا قبل أن يأتي أقوام  
يقرءون يقيمون حروفه كما يقام السهم ، لا يجاوز تراقيهم ، يتعجلون  
أجره ولا يتأجلونه .

عبد الله بن عمرو بن العاص قال : من قرأ القرآن فقد أدرجت  
النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى إليه ، ومن قرأ القرآن فرأى أن أحدًا  
من خلق الله أعطى أفضل مما أعطى فقد حقر ما عظم الله ، وعظم  
ما حقر الله ، وليس ينبغي لحامل القرآن أن يجهل فيمن يجهل ولا يجد  
فيمن يجد ولأن يعفو أو يصفح .

عمرو بن مرة قال : سمعت مجاهدًا يقول : القرآن يشفع لصاحبه  
يوم القيامة ، فيقول يارب جعلتني في جوفه فأسهرت ليله ومنعت  
جسده من شهوته ولكل عامل من عماله ، فيوقف له عز وجل ،  
فيقول ابسط يدك ، فتملاً من رضوان الله ، فلا يسخط عليه بعدها  
أبدًا ، ويقال له اقرأ وأرقه ، فيرفع بكل آية درجة ، ويزاد بكل آية  
درجة .

موسى بن علي بن رباح قال : سمعت أبي يحدث عن عبد الله بن  
عمرو بن العاص قال : إنما الحسد في اثنتين : القرآن يعلمه الله الرجل  
ليقرأه ويعمل بما فيه فيقول الرجل لوددت أن الله أعطاني مثل ما أعطى  
فلاناً ، ورجل آتاه الله مالاً فيصل به رحمه ويضعه في حقه ، فيقول  
الرجل لوددت أن الله أعطاني مثل ما أعطى فلاناً ، وأربع خلال إذا  
أعطيتهن لم يضرك ما عزل عنك من الدنيا : حسن خليقة ، وعفاف  
طعمة ، وصدق حديث ، وحفظ أمانة .

الزهري قال : بلغنا أن رسول الله ﷺ قال : إن من أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذي إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى الله عز وجل .  
الأشعري قال : إن من إجلال الله إكرام ذى الشية المسلم وحامل القرآن غير الغالى فيه ، ولا الجافى عنه ، وإكرام ذى السلطان المقسط .  
يحيى بن أبى كثير قال : بينا أسيد بن حضير يصلى ذات ليلة إذ غشيته سحابة فيها مثل المصابيح ، قال والمرأة نائمة إلى جنبه وهى حامل والفرس مربوط فى الدار ، فخشيت أن ينفر الفرس فتفرع المرأة فتلقى ولدها ، فانصرفت من صلاتى ، ثم ذكرت ذلك للنبي ﷺ حين أصبحت ، قال : اقرأ أسيد ، وإن ذلك ملك يستمع القرآن .  
حسان بن عطية قال : كان جبريل ينزل على رسول الله ﷺ فيعلمه السنة كما يعلمه القرآن .

الحسن قال : من أحب أن يعلم ما هو فليعرض نفسه على القرآن .  
محمد بن حجارة قال : كانوا يستحبون إذا ختموا القرآن من الليل أن يختموه فى الركعتين اللتين بعد المغرب ، وإذا ختموه من النهار أن يختموه فى الركعتين اللتين قبل صلاة الفجر .  
أبى سعيد الخدرى قال : اقرءوا القرآن تسألون الله به قبل أن يقرأه أقوام يسألون به الناس ، سيقراً القرآن ثلاثة رجال : رجل يهاى به الناس ، ورجل يستأكل به الناس ، وقارئ : يقرأه الله .  
عن أبى الورد القشيري أن أباً محمد الحضرمي حدثه بيت المقدس قال : حدثنا كعب فى هذا البيت أنه وجد فى كتاب المنزل أنه ليس من عبد مؤمن أو مؤمنة يجيء يوم القيامة ومعه البقرة وآل عمران إلا وهما تظلاله عن يمينه وشماله بقولان : ربنا لا سبيل عليه .

معمر بن أبي حمزة الضبي أنه أخبره قال قلت لابن عباس : إني رجل في قراءتي وكلامي عجلة ، فقال ابن عباس : لأن أقرأ البقرة أرتلها أحب إلي من أن أقرأ القرآن كله .

أبي نضرة قال : كنا عند عمران بن حصين قال : فجعل يحدثنا قال : فقال رجل : حدثنا من كتاب الله قال : فغضب عمران فقال : إنك أحق ! ذكر الله الزكاة في كتابه ، فأين من المقتين خمسة ؟ ذكر الله الصلاة في كتابه ، فأين الظهر أربعاً حتى ذكر الصلوات . ذكر الله الطواف في كتابه ، فأين الطواف بالبيت سبعاً ؟ وبالصفا والمروة سبعاً ؟ إنا نحكم ما هناك وتفسره السنة .

يحيى بن أبي كثير قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله كره لكم ثلاثاً : اللغو عند القرآن ، ورفع الصوت في الدعاء ، والتخصر في الصلاة .

عبد الله بن مسعود قال : ليس حفظ القرآن بحفظ الحروف ، ولكن بإقامة حدوده .

عون وممن أن رجلاً أتى عبد الله بن مسعود فقال : اعهد إلي ، فقال : إذا سمعت الله تعالى يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ فارعها سمعك فإنه خير يأمر به أو شر ينهى عنه .

مجاهد في قول الله عز وجل : ﴿ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾<sup>(١)</sup> قال يعملون به حتى عمل به .

---

(١) البقرة : آية ١٢١ .

عطاء بن رباح فى قول الله تعالى : ﴿ طَهَّرْنَا نَبِيَّكَ لِلطَّائِفِينَ وَالْمَاكِفِينَ  
وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾<sup>(١)</sup> قال: أما والله ما هو بالطيب ، ولكنه من الذنوب .  
ابن عباس فى قوله : ﴿ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾<sup>(٢)</sup> ، قال الكتاب  
والسنة .

عبد الله : ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ﴾<sup>(٣)</sup> وأنت حرص شحيح تأمل  
الغنى وتخشى الفقر .

عبد الله : أنه قال فى هذه الآية : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾<sup>(٤)</sup> قال  
حق تقاته أن يطاع فلا يعصى ، وأن يشكر فلا يكفر ، وأن يذكر  
فلا ينسى .

أم الدرداء أنه أغمى على أبى الدرداء فأفاق فإذا بلال ابنه عنده ،  
فقال قم فأخرج عنى ، ثم قال : من يعمل مثل مضجعى هذا ، من  
يعمل مثل ساعتى هذه : ﴿ وَنَقَلْنَا أَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا  
بِهِ أَوْلَ مَرَّةٍ وَكَدَّرَهُمْ فِى طُعْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾<sup>(٥)</sup> أبيتهم . ثم أغمى عليه  
فلبث لبثاً ثم يفيق فيقول مثل ذلك فلم يزل يرددها حتى قبض .

ابن مسعود قال : قال لى رسول الله ﷺ اقرأ على قلت اقرأ وعليك  
أنزل ؟ قال إني أحب أن أسمع من غيرى . قال : فافتحت سورة

(١) البقرة : آية ١٢٥ .

(٢) البقرة : آية ١٢٩ .

(٣) البقرة آية ١٧٧ .

(٤) آل عمران : ١٠٢ .

(٥) الانعام : آية ١١٠ .

النساء فلما بلغت ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (١) رَأَيْتَ عَيْنِيهِ تَدْرِفَانِ فَقَالَ لِي حَسْبُكَ .  
 أُمِّي هَرِيرَةَ ، قَوْلُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿عَسَى أَنْ يَتَوَكَّلَ رَبُّكَ إِذَا مَقَامًا مَحْضُودًا﴾ (٢) قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ هُوَ الْمَقَامُ الَّذِي أَشْفَعُ فِيهِ لِأُمَّتِي .

ابن عياش في قول الله تعالى : ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ (٣) قَالَ حَفِظًا بِصَلَاحِ أَبِيهِمَا وَلَمْ يَذْكَرْ عَنْهُمَا صَالِحًا .  
 مُحَمَّدُ بْنُ الْمُتَكَدِّرِ قَالَ : إِنْ اللَّهُ لِيُصَلِّحَ بِصَلَاحِ الْعَبْدِ وَلَدَهُ وَوَلَدَ وَلَدِهِ وَيَحْفَظُهُ فِي دَوِيرَتِهِ وَالِدَوِيرَاتِ الَّتِي حَوْلَهُ مَا دَامَ فِيهِمْ .  
 شَقِيقُ بْنُ سَلَمَةَ أَنَّهُ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿إِنِّي أُعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ (٤) قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ التَّقِيَّ ذُو نَهْيَةٍ .  
 عَنِ الضَّحَّاكِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿وَلَهُمْ بِرِزْقِهِمْ فِيهَا بُكْرَةٌ وَعَشِيًّا﴾ (٥) .

أُمِّي هَرِيرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنْ اللَّهُ تَعَالَى أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ : ﴿يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ (٦) وَقَالَ : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُّوْا مِنَ طَيِّبَاتِ

- 
- (١) النساء آية ٤١ .  
 (٢) الإسراء : آية ٧٩ .  
 (٣) الكهف : آية ٨٢ .  
 (٤) مريم : آية ١٨ .  
 (٥) مريم : آية ٦٢ .  
 (٦) المؤمنون : آية ٥١ .

مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴿١١﴾ وذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ، وملبسه حرام ، فأنى يستجاب لذلك .

الحسن فى قول الله عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا ﴿١٢﴾ قال يعطون ما أعطوا ﴿ وَقَلُّوا لَهُمْ وَجِلَةٌ ﴿١٣﴾ قال يعملون ما عملوا من أعمال البر وهم يخشون أن لا ينجيهم ذلك من عذاب ربهم عز وجل .

عبد الله بن مسعود قال : لا يتصف النهار من ذلك اليوم حتى يقبل هؤلاء فى الجنة ، وهؤلاء فى النار ، ثم قرأ عبد الله بن مسعود ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٤﴾ ثم قرأ : ﴿ ثُمَّ إِنَّ مَقِيلَهُمْ لِآلَى الْجَحِيمِ ﴿٥﴾ .

فضالة بن عبيد يقول : لأن أكون أعلم أن الله تقبل منى مثقال حبة من خردل أحب إلى من الدنيا وما فيها ، لأن الله تبارك وتعالى يقول : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٦﴾ .

ربيع بن خيثم لجليس له : أيسرك أن تؤتى بصحيفة من النبى ﷺ

(١) البقرة : آية ١٧٢ .

(٢) المؤمنون : آية ٦٠ .

(٣) المؤمنون : آية ٦٠ .

(٤) الفرقان آية ٢٤ .

(٥) الصافات آية ٦٨ ، وهى قراءة ابن مسعود كما فى الطبرى ( ٤/١٩ ) وفى القراءة المشهورة ﴿ مَرْجِعُهُمْ ﴾ .

(٦) اللطفة : آية ٢٧ .

لم يفك خاتمها ؟ قال : نعم ، قال : فاقرا ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي ﴾ (١) فقرأ إلى آخر الثلاث آيات .

عبد الرحمن بن زيد قال : قال عبد الله اعتبروا المنافق بثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أوتمن خان ، ثم قرأ عبد الله : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَقِنَ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنُصَدِّقَنَّهُ وَلَنُكُونَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ . فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون \* فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ﴿ (٢) .

أبي عبيدة قال : قال عبد الله : الكذب لا يصلح منه شيء في جد ولا هزل اقرءوا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٣) فهل ترون من رخصة في الكذب .

وهيب أنه بلغه أن مجاهداً كان يقول في هذه الآية : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ ﴾ (٤) .

سفيان قال : كان الربيع بن خيثم إذا تلا هذه الآية ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ (٥) قال : بل طوعا يارباه .

(١) الأنعام : آية ١٥١ .

(٢) التوبة : الآيات ٧٥ - ٧٧ .

(٣) التوبة آية ١١٩ .

(٤) هود : آية ١٦ .

(٥) الرعد : آية ١٥ .

مجاهد في قوله : ﴿ عَلَى سُرِّ مَتَقَابِلِينَ ﴾<sup>(١)</sup> قال لا ينظر بعضهم في قفا بعض .

الحسن في قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴾<sup>(٢)</sup> قال :  
أواب إلى الله بقلبه وعمله .

عن الحسن في قوله : ﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾<sup>(٣)</sup> قال الغرام اللّازم  
الذي لا يفارق صاحبه ، وكل عذاب يفارق صاحبه فليس بغرام .  
مجاهد في قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَلَا تَنْسُ نَصِيحَتَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾<sup>(٤)</sup>  
قال العمل بطاعة الله نصيب من الدنيا الذي يثاب عليه في الآخرة .

فاطمة بنت عبد الملك كتبت أسمع عمر في مرضه الذي مات فيه  
يقول : ( اللهم خفف عليهم موتى ولو ساعة من نهار ) ، قالت فقلت  
له يوماً : يا أمير المؤمنين ألا أخرج عنك عسى أن تفضى شيئاً فإنك  
لم تتم ، قالت : فخرجت عنه إلى بيت غير بيت الذي هو فيه ، قالت  
فجعلت أسمعهم يقول : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ  
عُلُوقاً فِي الأَرْضِ وَلَا فِتْنَادًا ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾<sup>(٥)</sup> يرددها مراراً ثم  
أطرق فلبث طويلاً لا أسمع له صوتاً ، فقلت لو صيف له كان يخدمه  
ويحك انتظر ، فلما دخل صاح ، قالت فدخلت عليه فوجدته ميتاً ، قد  
أقبل بوجهه على القبلة ووضع إحدى يديه على فيه والأخرى على عينيه .

- 
- (١) سورة الحجر : ٤٧ .
  - (٢) الإسراء : من الآية ٢٥ .
  - (٣) الفرقان : من الآية ٦٥ .
  - (٤) القصص : من الآية ٧٧ .
  - (٥) القصص : آية ٨٣ .

الضحاك بن مزاحم يقول في قول الله تعالى : ﴿إِنِّي يَصْعَدُ الْكَلِمُ  
الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾<sup>(١)</sup> قال: العمل الصالح يرفع الكلام  
الطيب.

مجاهد في قوله : ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ  
وَمَكْرُهُمْ أُولَئِكَ هُوَ يُجْزَى﴾<sup>(٢)</sup> ، قال الرباء .

الزهري . بلغنا أن رسول الله ﷺ قال : لا تمكر ولا تعن ماكرًا  
فإن الله يقول : ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾<sup>(٣)</sup> ولا تبغ ولا تعن  
باغيًا فإن الله تعالى يقول : ﴿إِنَّمَا بَغْيِكُمْ عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ﴾<sup>(٤)</sup> ولا تنكث  
ولا تعن ناكثًا فإن الله تعالى يقول : ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى  
نَفْسِهِ﴾<sup>(٥)</sup> .

مجاهد في قول الله عز وجل : ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ  
بِهِ﴾<sup>(٦)</sup> قال : هم الذين يجيئون بالقرآن يوم القيامة قد ابتاعوه ، أو  
قال ابتاعوا ما فيه .

الزهري أن عمر بن الخطاب تلا هذه الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا  
اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا﴾<sup>(٧)</sup> قال : استقاموا والله لله بطاعته ولم يروغوا روغان  
الشعالب .

(١) فاطر : من الآية ١٠ .

(٢) فاطر : من الآية ١٠ .

(٣) فاطر : آية ٤٢ .

(٤) يونس : من الآية ٢٣ .

(٥) الفتح : من الآية ١٠ .

(٦) الزمر : من الآية ٣٣ .

(٧) فصلت : من الآية ٣٠ .

الحسن أنه قرأ ﴿ أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرًا أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (١) الآية ، قال : سمع رجلا من المهاجرين رجلا يقرأها يعيدها ويديها فقال : أو ما سمعت الله تعالى يقول : ﴿ وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تُرْتِلاً ﴾ (٢)

هذا الترتيل .

الضحاك قال ما من أحد تعلم القرآن ثم نسيه إلا يندب يحدته وذلك بأن الله تعالى يقول : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ (٣) ، ونسيان القرآن من أعظم المصائب .

على بن أبي طالب رضى الله عنه قال : إذا مات العبد الصالح بكى عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء والأرض ثم قرأ : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴾ (٤) .

مسروق قال : قال لى رجل من أهل مكة ، هذا مقام أخيك تميم الدارى ، لقد رأيت ذات ليلة حتى أصبح أو قرب أن يصبح يقرأ آية من كتاب الله ، ويركع ، ويسجد ويكسى ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءَ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (٥) .

صحراى مولى عثمان بن عفان قال : مرت على عثمان فخاره من ماء فدعا به فتوضأ فأسبغ وضوءه ثم قال : « لو لم أسمع من

(١) فصلت : من الآية ٤٠ .

(٢) المزمل : من الآية ٤ .

(٣) الشورى : آية ٣٠ .

(٤) المدعان : آية ٢٩ .

(٥) الحاتية : آية ٢١ .

رسول الله ﷺ إلا مرة أو مرتين ، أو ثلاثا ما حدثكم به ، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما توضع عبد فأسبغ الوضوء ، ثم قام إلى الصلاة إلا غفر له ما بينه وبين الأخرى » قال محمد بن كعب : وكنت إذا سمعت حديثاً عن رجل من أصحاب النبي ﷺ التمسته في القرآن ، فالتمست هنا فوجدت ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا \* لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ ﴾<sup>(١)</sup> فعلمت أن الله لم يتم عليه النعمة، حتى غفر ذنوبه، ثم قرأ الآية التي في سورة المائدة:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ﴾ حتى بلغ ﴿ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>، فعرفت أن الله لم يتم عليهم النعمة حتى غفر لهم.

الحسن في قول الله تعالى : ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> قال يعذبون .

مجاهد في قوله تعالى : ﴿ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾<sup>(٤)</sup> . قال هو لمن هم بسيفة فذكر الله فتركها .

سيار الشامي قال : قيل لأبي الدرداء : ﴿ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ﴾

(١) سورة الفتح : الآيات ١ و ٢ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٦ .

(٣) سورة الداريات : الآية ١٣ .

(٤) سورة الرحمن : الآية ٤٦ .

جَتَّانِ ﴿١﴾ وإن زنى وإن سرق - قال : إنه إن خاف مقام ربه لم  
يزن ولم يسرق .

ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ مَذَاهِمَاتَانِ ﴾ ﴿٢﴾ قال خضراوان من  
الرى .

عبد الله بن أبى أوفى فى قوله : ﴿ مَذَاهِمَاتَانِ ﴾ ﴿٣﴾ قال خضراوان .  
وفى قوله : ﴿ فِيهِمَا حَيَاتَانِ نَضَّاحَتَانِ ﴾ ﴿٤﴾ قال نضاحتان بالخير .  
الحسن فى قوله تعالى : ﴿ عَرَبًا أْتَرَابًا ﴾ ﴿٥﴾ . قال العرب : المتحبيات  
إلى أزواجهن ، والأتراب والأشباه المستويات .

صالح الرى قال : قال الله تعالى : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحَى الْأَرْضَ  
بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿٦﴾ .

قال : يعنى يلين القلوب بعد قسوتها .

لزم رجل باب عمر ، فكان عمر كلما خرج رآه بالباب فقال له  
يوما : انطلق واقرأ القرآن ينغيك عن باب عمر ، فانطلق الرجل فقرأ  
القرآن ، وفقده عمر فجعل يطلبه ، إذ رآه يوما فقال : يا فلان لقد  
فقدناك فما الذى حبسك عنا ؟ قال يا أمير المؤمنين أمرتنى أن أقرأ  
القرآن ، فقرأته فأغناني عن باب عمر ، فقال : وما ... قال :

(١) سورة الرحمن : الآية ٤٦ .

(٢) سورة الرحمن : الآية ٦٤ .

(٣) سورة الرحمن : الآية ٤٦ .

(٤) سورة الرحمن : الآية ٦٦ .

(٥) سورة الواقعة : ٣٧ .

(٦) سورة الحديد : الآية ١٧ .

قرأت : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (١) . فقال عمر فقه الرجل ، لا كل هذا .

عطية الكوفي في قول الله تعالى : ﴿ وَأَنْتَ لَعَلَىٰ خَلْقِ عَظِيمٍ ﴾ (٢) .  
قال : على أدب القرآن .

البراء في قول الله تعالى : ﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾ (٣) قال : البهجة مما هم فيه من النعيم .

الحسن قال : ﴿ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴾ (٤) قال : ملأى .

مسروق عن عبد الله في قول الله تعالى : ﴿ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ \* خِتَامُهُ مِسْكَ ﴾ (٥) قال : الرحيق الخمر المختوم المخرج « ختامه مسك » قال طعمه وريحه .

عبد الله بن مسعود في قوله : ﴿ وَيَرْزَأُجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴾ (٦) قال تسنيم عين الجنة بشرها المقربون صرفا وتخرج لأصحاب اليمين .

الحسن في قول الله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴾ (٧) قال : بخل بما لا يبقى واستغنى بغير عناء .

أبي الدرداء قال : تمام التقوى أن يتقى الله العبد حتى ينقيه في

(١) سورة الطلاق : الآيات ٢ ، ٣ .

(٢) سورة القلم : الآية ٤ .

(٣) سورة الحاقة : الآية ٢٣ .

(٤) سورة النبا : الآية ٣٤ .

(٥) سورة المطففين : الآيات ٢٥ و ٢٦ .

(٦) سورة المطففين : الآية ٢٧ .

(٧) سورة الليل : الآية ٨ .

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ، حتى يترك بعض ما يرى أنه حلال ، خشية أن يكون حراما يكون حجبا بينه وبين الحرام ، فإن الله قد بين للعباد الذى يعيرهم إليه ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿<sup>(١)</sup>﴾ ، فلا تحقرن شيئا من الشر أن تثقيه ولا شيئا من الخير أن تفعله .

الحسن قال : قدم صعصعة يعنى عم الفرزدق أوجده على النبي ﷺ فسمعتة يقرأ هذه الآية : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿<sup>(٢)</sup>﴾ .  
فقال حسبي حسبي لا أبالي أن لا أسمع غيرها .

---

(١) سورة الزلزلة : ٧ ، ٨ .

(٢) سورة الزلزلة : ٧ ، ٨ .

## الإسلام

عن الحسن قال : الإسلام - وما الإسلام - أن تسلم قلبك لله تعالى وأن يسلم منك كل مسلم وذى عهد .

وعن عمر بن الخطاب قال لأبي عبيدة : إنكم كنتم أذل الناس وأقل الناس وأحقر الناس فأعزكم الله بالإسلام ، فمهما تطلبوا العز بغيره يذلکم الله .

وعن عتبة بن أبي الصهباء قال : كان الحسن يفتح مجلسه وحديثه بأن يقول : الحمد لله بالإسلام ، والحمد لله بالقرآن ، والحمد لله بمحمد ﷺ والحمد لله بالأهل والمال ، والحمد لله بالمعافاة .

وعن أبي شريك أن رسول الله ﷺ قال : من أحب الأعمال إلى الله إدخال السرور على المسلم ، أو أن تفرج عنه غما أو أن تقضى عنه ديناً ، أو أن تطعمه من جوع .

وعن أبي هريرة يقول : قال ﷺ : لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً .  
وعن أبي طلحة وابن سهل الأنصاري أن رسول الله ﷺ قال : ما من امرئ يخذل امرأ مسلماً في موطن تنتهك فيه حرمة ، وينتقص فيه من عرضه إلا أخذله الله في موطن يحب فيه نصرته ، وما من امرئ ينصر امرأ مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه ، وينتهك فيه من حرمة إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته .

ابن مسعود قال : ما يضر عبدًا يصبح على الإسلام ويمسى عليه  
ماذا أصاب من الدنيا .

أبي البحرى أن النبي ﷺ ذكر أشياء يؤجر فيها الرجل قال :  
يؤجر في كذا ، ويؤجر في كذا ، حتى ذكر غشيان أهله فقالوا :  
يا رسول الله : يؤجر في شهوة يصيبها ؟ قال أرأيت لو كان إنمًا أليس  
كان يكون عليه الوزر . قال فكذلك يؤجر .

أبي الصهباء وهو صلة بن أشيم طلبت الرزق في وجوهه فأعيانى  
أن أصيبه إلا رزق يوم بيوم فعلمت أنه خير لى ، قال : وسمعت الحسن  
والإفحدثى داود عن الحسن أنه قال : ما من مسلم يرزق رزق يوم  
يوم ولا يعلم أنه قد خير له إلا عاجز أو قال غبي الرأى .

## الإيمان

روى ابن المبارك بسنده عن : سهل بن سعد يحدث عن النبي ﷺ قال : « المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، يألم المؤمن لأهل الإيمان كما يألم الجسد للرأس » .

فضالة بن عبيد قال : قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع ألا أخبركم بالمؤمن ؟ من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم ، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله والمهاجر من هجر الذنوب والخطايا .

يزيد بن يزيد الهمزاني أن أبا الدرداء قال : ذروة الإيمان أربع خلال : الصبر بالحكم ، والرضا بالقدر ، والإخلاص للتوكل ، والاستسلام للرب ، ولولا ثلاث خلال صلح الناس : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه .

أبي أمامة قال : سأل رجل النبي : ما الإثم ؟ قال : ما حك في صدرك فدعه ، قال : فما الإيمان ؟ قال : إذا ساءتلك سميتك وسرتك حسنتك فأنت مؤمن .

عبد الله بن مسعود قال : والذي لا إله غيره ما أعطى عبد مؤمن بعد إيمان بالله أحسن من حسن ظنه بالله سبحانه وتعالى ، والذي لا إله غيره لا يحسن عبد ظنه بالله إلا إياه وذلك لأن الخير بيده .

سعد قال : كل الخلال يطبع عليها المؤمن إلا الكذب والخيانة .

أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال : ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان ، من أحب المرء لا يحبه إلا الله عز وجل ، ومن كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، ومن كان أن يقذف في النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله سبحانه وتعالى منه .

عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : لنفس المؤمن أشد ارتكاضاً من الخطيئة من العصفور حين يقذف به - اهـ .

الحسن قال : إن المؤمن جمع إحساناً وشفقة ، وإن المنافق جمع إساءة وأماً ، وتلا هذه الآية :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾<sup>(١)</sup> وقال المنافق : ﴿ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾<sup>(٢)</sup> .

أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لن يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه » .

محمد بن حمزة بن عبد الله بن سلام قال : قال رسول ﷺ : « خصلتان لا تكونان في منافق : حسن سمع ، ولا فقه في الدين » .

رسول الله ﷺ قال : « المؤمن عبد بين مخالفتين من ذنب قد مضى لا يدري ما يصنع الله فيه ، ومن عمر قد بقي لا يدري ماذا يصيب فيه من الهلكان » .

(١) المؤمنون : الآيات ٥٧ ، ٥٨ .

(٢) القصص : من الآية ٧٨ .

عوف بن عبد الله أن لقمان قال لابنه : يا بني ! ارج الله رجاء  
لا تأمن فيه مكره ، وخف الله مخافة لا تيأس فيها من رحمته ، قال :  
وكيف أستطيع ذلك يا أباي ! وإنما لي قلب واحد ، قال : يا بني ! إن  
المؤمن كذى قلبين ، قلب يرجو به وقلب يخاف به .

سعد بن مسعود أن النبي ﷺ سئل : أى المؤمنين أفضل ؟ قال :  
أحسنكم خلقاً ، قيل : أى المؤمنين أكيس ؟ قال : أكثرهم للموت  
ذكراً وأحسنهم لها استعداداً .

أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال : « المؤمن للمؤمن كالبنيان  
يشد بعضه بعضاً وأدخل رسول الله ﷺ أصابعه بعضها فى بعض » .

عتبة بن عبد الأسلمي وكان من أصحاب النبي ﷺ قال : إن  
الشباب المؤمن لو يقسم على الله لأبره .

عمر بن سعد عن النبي ﷺ قال : عجباً للمسلم إن أصابه خير  
حمد الله وشكره ، وإن أصابه مصيبة احتسب وصبر ، المؤمن يؤجر  
فى كل شىء حتى فى اللقمة يرفعها إلى فيه .

الحسن قال : المؤمن من يعلم أن من قال الله عز وجل كما قال  
والمؤمن أحسن عملاً ، وأشد الناس خوفاً ، لو أنفق جيلاً من مال  
ما أمن من دون أن يعاين : لا يزداد صلاحاً ويراً وعبادة إلا ازداد فرحاً ،  
يقول : لا أنجو ، لا أنجو ، والمنافق يقول : سواد الناس كثير ، وسيغفر  
لى ، ولا بأس على يسىء العمل ، ويتمنى على الله تعالى .

أبي هريرة عن النبي ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر

فلا يؤذ جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت .

أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال : « مثل المؤمن وإيمان كمثل الفرس في أجمته تجول ثم ترجع إلى أجمته ، وإن المؤمن يسهو ثم يرجع إلى الإيمان ، فاطبعوا طعامكم الأتقياء ، وولوا معروفكم المؤمن » .

ابن عباس قال : أحب ؛ وأبغض ، وعاد في الله ، ووال في الله ، نانه لا تنال ولاية الله إلا بذلك ، ولا يجد رجل طعم الإيمان وإن كثرت أصلاته وصيامه حتى يكون كذلك ، وقد صارت مؤاخاة الناس اليوم في أمر الدنيا ، وذلك ما لا يجزي عن أهله شيئاً يوم القيامة .

صالح بن سمار أن رسول الله ﷺ قال لحارث بن مالك : ألا كيف أنت ؟ أو ما أنت يا حارث ؟ قال مؤمن ، يا رسول الله ، قال : مؤمن حقاً ، قال : فإن لكل حق حقيقة فما حقيقة ذلك ؟ قال : عزفت نفسي عن الدنيا فأسهت ليلي ، وأظلمات نهارى ، وكأني أنظر إلى عرش ربي عز وجل ، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها ، وكأني أسمع عواء أهل النار ، فقال رسول الله ﷺ ، مؤمن نور الله قلبه ، قال ابن الوراق : قال ابن صاعد : ولا أعلم صالح بن سمار أسند إلا حديثاً واحداً .

الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » قال : وقال الحسن : والله إن أصبح فيها مؤمن إلا حزيناً ، وكيف لا يحزن المؤمن وقد حدث عن الله عز وجل ، وعن أنه وارد

جهنم ولم يأتيه أنه صادر عنها والله ليلقيين أمراضًا ، ومصيبات وأمورًا  
تغيظه وليظلمن مما ينتصر ، يتنى من ذلك الثواب من الله عز وجل ،  
وما يزال فيها حزينا خائفا حتى يفارقها ، فإذا فارقها أفضى إلى الراحة  
والكرامة - اهـ .

الحسن قال : إن المؤمن قوام على نفسه ، يحاسب نفسه لله عز وجل  
وإنما نخف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا ،  
وإنما اشتق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير  
محاسبة ، إن المؤمن يفجأ الشيء يعجبه فيقول : والله إنى لأشتهيك  
وإنك لمن حاجتى ، ولكن والله ما من صلة إليك ، هيهات هيهات ،  
حيل بينى وبينك ، ويفرط منه الشيء فيرجع إلى نفسه ، فيقول ما أردت  
إلى هنا ، ما لي ولهذا ، والله لأعود إلى هذا أبداً إن شاء الله ، إن  
المؤمنين قوم أوثقهم القرآن ، وحال بينهم وبين هلكتهم ، إن المؤمن  
أسير في الدنيا يسعى فى فكك رقبتة ، لا يأمن شيئا حتى يلقي الله  
يعلم أنه مأخوذ عليه فى سمعه ، فى بصره ، فى لسانه ، فى جوارحه ،  
يعلم أنه مأخوذ عليه فى ذلك كله .

عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال : « الدنيا سجن المؤمن ، فإذا  
فارق الدنيا فارق السجن » .

## الأخوة

روى ابن المبارك بسنده عن : أنس بن مالك قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله ! متى قيام الساعة ؟ ، فقام رسول الله ﷺ إلى الصلاة ، فلما قضى الصلاة قال : أين السائل عن الساعة ؟ فقال الرجل : أنا يا رسول الله ! قال : ما أعددت لها ؟ قال : ما أعددت لها كبير صلاة ولا صيام - أو قال ما أعددت لها كبير عمل إلا أنني أحب الله ورسوله ، فقال النبي ﷺ : المرء مع من أحب ، أو قال : أت مع من أحببت ، قال أنس : فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الإسلام فرحهم بها .

الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : ألا إن الناس لم يؤمنوا في الدنيا شيئاً خيراً من اليقين والعافية فسلوهما الله عز وجل . وقال الحسن صدق الله ، وصدق رسوله ، باليقين هربت من النار ، واليقين ، طلبت الجنة ، واليقين صبر على المكروه ، واليقين أدبت الفرائض ، وفي معاناة الله خير كثير ، قد والله رأيتهم يتقاربون في العافية فإذا وقع البلاء تباينوا .

عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ صلى على قتلى أحد بعد ثمانين سنين كالمدح للأحباء والأموات ، ثم طلع المنبر وقال : إني بين أيديكم فرط ، وأنا عليكم شهيد ، وإن موعدكم الحوض ، وإني لأنظر إليه وأنا في مقامى هذا ، وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا ، ولكن

أنحشى عليكم الدنيا أن تنافسوها ، قال عقبة : وكانت آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله ﷺ .

معاوية بن قره قال : أشد الناس يوم القيامة حساباً الصحيح الفارغ .  
أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما رأيت مثل الجنة نام طالبها ولا رأيت مثل النار نام هاربها » .

أنس بن مالك قال : يؤتى بأنعم بأهل الدنيا من الكفار فيقول الله سبحانه وتعالى : اغمسوه غمسة فى النار ، فيقال له : هل رأيت نعيماً قط ؟ فيقول لا ، ويؤتى بأشد المؤمنين ضرباً فيقول اغمسوه غمسة فى الجنة فيقول له : هل رأيت ضرباً قط أو مسك بلاء قط ؟ فيقول : لا .

أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد ، يتبعه أهله ، وماله ، وعمله ، فيرجع أهله ، وماله ، ويبقى معه عمله » .

أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال : « يجاء بابن آدم يوم القيامة بين يدي الله ، فيقول له أعطيتك وخولتك وأنعمت عليك فماذا صنعت ؟ فيقول : يا رب جمعته وثمرته فتركته أكثر ما كان فارجمنى أنك به ، فإذا عبد لم يقدم خيراً فيمضى به إلى النار » .

محمد بن المنكدر قال : يقال يوم القيامة أين الدين كانوا يتزهون أنفسهم وأسماعهم عن اللهو ومزامير الشيطان ، اجعلوهم فى رياض المسك ، ثم يقول للملائكة : أسمعوهم حمدي وثالثي عليهم وأخبروهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

عن أبي سعيد - أظنه رفعه - قال : « يؤتى بالموت يوم القيامة

كالكبش الأملح حتى يولف بين الجنة والنار، فيقال : يا أهل الجنة هذا الموت، ويا أهل النار هذا الموت، قال : فيذبح وهم ينظرون فلو مات أحد فرحًا لمات أهل الجنة ، ولو مات أحد حزنًا لمات أهل النار .  
أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من أحد يموت إلا ندم ، قالوا : وما ندامته ؟ قال : إن كان محسنًا ندم أن لا يكون أكثر من الإحسان ، وإن كان مسيئًا ندم أن يكون نزع » .  
أسد بن اليمنى قال : غزونا مع أبي موسى الأشعري فقال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى يكتر الهرج ، قلنا : وما الهرج ؟ قال : « القتل » .

عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة فى الدماء » .  
أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لن يلج الجنة أحد بعمله ، قالوا : ولا إياك يا رسول الله ، قال : ولا إياى إلا أن يتغمدنى الله برحمته ، أو تسعنى منه عافيته » .

ثابت قال : قال رسول الله ﷺ : أتى باب الجنة يوم القيامة فاستفتح فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد ، فيقول : بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك » .

معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ : « إن شئتم أنبأتكم بأول سورة ما يقول الله عز وجل للمؤمنين يوم القيامة ، وبأول ما يقولون ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : يقول الله للمؤمنين قد أحببتم لقائى ؟ فيقولون : نعم ياربنا ، فيقول : لم ؟ فيقولون : رجونا عفوك ورحمتك ، فيقول : إني قد وجبت لكم رحمتى » .

أنس بن مالك قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ وسلم إذ قال : يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة ، قال : فأطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من ماء وضوئه معلق نعليه بيده الشمال ؛ فلما كان من الغد ، قال رسول الله ﷺ يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة ، فاطلع ذلك الرجل على مثل مرتبته الأولى ، فلما كان من الغد ، قال رسول الله ﷺ : يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة ، فاطلع ذلك الرجل على مثل مرتبته الأولى ، فلما قام رسول الله ﷺ ، اتبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال له : إني لآحيت أبي فأقسمت أنني لا أدخل عليه ثلاث ليال ، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تحل يميني فعلت ، قال : نعم .

قال أنس : فكان عبد الله بن عمرو بن العاص يحدث أنه بات معه ثلاث ليال فلم يره يقوم من الليل بشيء غير أنه إذا قلب على فراشه ذكر الله ، وكبره حتى يقوم لصلاة الفجر فيسبغ الوضوء ، قال عبد الله : غير أنني لا أسمعه يقول إلا خيراً ، فلما مضت الثلاث الليالي وكدت أن أحتقر عمله ، قلت : يا عبد الله ؛ إنه لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجر ، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرات في ثلاثة مجالس يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة ، فاطلعت أنت في تلك الثلاث المرات فأردت أن آوى إليك ، فأنظر ما عملك ؟ فأقتدى بك ، فلم أرك تعمل كبير عمل ، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ ، قال : ما هو إلا ما رأيت فانصرفت عنه ، فلما وليت دعائي ، وقال : ما هو إلا ما رأيت غير أنني لا أجد في نفسي غلاً لأحد من المسلمين ، ولا أحسده على خير أعطاه الله إياه ، فقال له عبد الله بن عمرو هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطق .

أبي سعيد الخدرى قال : أهل الجنة يلهمون الحمد والتسبيح كما يلهمون النفس .

أبي سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول الله تعالى لأهل الجنة : يا أهل الجنة ، فيقولون لبيك ربنا وسعديك فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعطه أحداً من خلقك ، فيقول : أنا أعطيتكم أفضل من ذلك ، احل عليكم رضواني فلا أسخط .

الشعبي قال : يطلع القوم من أهل الجنة إلى قوم في النار فيقولون : ما أدخلكم النار ؟ وإنما أدخلنا الجنة بفضل تأديكم وتعليمكم قالوا : إنا كنا نأمر بالخير ولا نفعله - اهـ .

## العلم

روى ابن المبارك بسنده عن : عبد الله بن عمرو قال : دخل رسول الله ﷺ المسجد فرأى مجلسين أحدهما للمجلسين يدعون الله تعالى ويرغبون إليه ، والآخر يتعلمون الفقه ، فقال رسول الله ﷺ : كلا المجلسين على خير وأحدهما أفضل من صاحبه ، أما هؤلاء فيتعلمون ويعلمون الجاهل ، وإنما بعثت معلماً ، هؤلاء أفضل فجلس معهم .

عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « إذا أتى على يوم لا أزداد فيه علماً يقرنني إلى الله فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم » .  
أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : خيار أمتي علماءؤها ، وخيار علماءها خيارها ، ألا وإن الله يغفر للعالم أربعين ذنباً قبل أن يغفر للجاهل ذنباً واحداً ، ألا وإن العالم الرحيم يحيى يوم القيامة وإن نوره قد أضاء يمشى فيه بين المشرق والمغرب كما يضيء الكوكب الدرى .

ابن أبي جعفر أن رسول الله ﷺ حين بعث معاذاً يعلم الدين قال له : لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها .

الحسن قال : لا يزال العبد بخير إذا قال ، قال الله ، وإذا عمل بعمل الله .

حبيب بن حجر القيسي قال : كان يقال : ما أحسن الإيمان يزينه العلم ، وما أحسن العلم يزينه العمل ، وما أحسن العمل يزينه الرفق ، وما أضيف شيء إلى شيء أزين من حلم إلى علم .

محمد بن كعب القرظي قال : إذا أراد الله بعبد خيراً جعل فيه ثلاث  
خصال ، فقهاً في الدين ، وزهادة في الدنيا ، وبصراً بعيوبه .  
الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : العلم علمان : علم في القلب ،  
فذلك العلم النافع ، وعلم على اللسان فذلك حجة الله على خلقه .  
عبد الله بن مسعود قال : لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من  
قبل أصحاب محمد ﷺ وأكبرهم ، فإذا أتاهم العلم من قبل أصاغرهم  
فذلك حين هلكوا .

موسى ﷺ قال : أي رب أي عبادك أحكم ؟ قال : الذي يحكم  
للناس كما يحكم لنفسه ، قال أي عبادك أغني ؟ قال : أرضاهم بما قسمت  
له ، قال : فأى عبادك أخشى ؟ قال : أعلمهم بي .  
عن عبد الله قال : كفى بخشية الله علماً ، وكفى الاغترار بالله  
جهلاً « اهـ .

أبي ليلى قال : أدركت عشرين ومائة من أصحاب النبي ﷺ أراه  
قال في هذا المسجد فما كان منهم يحدث إلا ود أن أخاه كفاه الحديث  
ولا مفت إلا ود أن أخاه كفاه الفتيا .

الحسن أنه قال : كان الرجل إذا طلب العلم لم يلبث أن يرى ذلك  
في تخشعه ، وبصره ، ولسانه ، ويده ، وصلاته ، وحديثه ، وزهده ،  
وإن كان الرجل ليصيب الباب من أبواب العلم فيعمل به فيكون خيراً  
له من الدنيا وما فيها لو كانت له فجعلها في الآخرة - اهـ .

ابن شهاب قال : بلغنا عن رجال من أهل العلم أنهم كانوا يقولون :  
الاعتصام بالسنن نجاة ، والعلم يقبض قبضاً سريعاً فنعمش العلم ثبات  
الدين والدنيا ، وذهاب الدين كله في ذهاب العلم .

عطاء بن أبي رباح قال : ما رأيت مجلساً قط أكرم من مجلس  
ابن عباس ولا أكثر فقها ، ولا أعظم جفنة ، أصحاب القرآن عنده  
يسألونه ، وأصحاب العربية عنده يسألونه ، وأصحاب الشعر عنده  
يسألونه ، فكلهم يصدر في رأى واسع .

الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تزال هذه الأمة تحت يد  
الله وفي كنفه ، ما لم تمال قراؤها أمراءها ، ولم يزل صالحوها فجارها  
وما لم يمن خيارها شرارها ، فإذا فعلوا ذلك رفع الله عنهم يده ، ثم  
سلط عليهم جبارتهم ، فساموهم سوء العذاب ، وضرهم بالفاقة  
والفقر وملأ قلوبهم رجباً .

سفيان قال : كان يقال ليس بفقير من لم يعد البلاء نعمة ، والرجاء  
مصيبة .

الضحاك قال : أدركتهم وما يتعلمون إلا الورع .  
أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « رأيت ليلة أسرى بي  
رجالا تقرض شفاههم بالمقاريض ، قلت : من هؤلاء يا جبرائيل ؟  
قال : خطباء أمتك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم ، وهم  
يتلون الكتاب ، أفلا يعقلون » .

معاذ بن جبل : اعلّموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله بعلم  
حتى تعملوا - اهـ .

أبي الدرداء : إن أنحوف ما أخاف إذا وقفت على الحساب أن يقال  
لي قد علمت فماذا عملت فيما علمت - اهـ .

أبي الدرداء قال : إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة عالم  
لا يتنفع بعلمه - اهـ .

سفيان قال : تعوذوا بالله من فتنة العابد الجاهل وفتنة العالم الفاجر  
فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون .

مالك بن دينار قال : سألت الحسن عن عقوبة العالم ؟ قال : موت  
القلب ، قال : وما موت القلب ؟ قال : طلب الدنيا بعمل الآخرة .  
عبد الله قال : إني لأحسب الرجل ينسى العلم يعلمه بالخطيئة  
يعملها .

سلمة بن نبيط قال : قلت لأبي ، وكان له صحبة لو غشيت هذا  
السلطان فقال : إني أخشى أن أشهد مشهدًا يدخلني النار .

## الصلوة

روى ابن المبارك بسنده عن : عبيد الله بن أبي جعفر قال : قال رسول الله ﷺ : « من أجاب داعي الله وأحسن عمارة مساجد الله كانت تحفته بذلك من الله الجنة ، فقيل : يا رسول الله : ما أحسن عمارة مساجد الله ؟ قال : لا يرفع فيها صوت ، ولا يتكلم فيها بالرث . » .

أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : إسباغ الوضوء عند المكاره من الكفارات ، وكثرة الخطا إلى المساجد من الكفارات ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة من الكفارات وذلك الرباط وذلك الرباط . » .

أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « الكلمة الطيبة صدقة ، وكل خطوة تخطوها إلى الصلاة صدقة . » .

يحيى الغساني قال : قال رسول الله ﷺ : « مشيك إلى المسجد ورجوعك إلى بيتك في الأجر سواء . » .

عقبة بن عامر الجهني عن النبي ﷺ قال : « من خرج من بيته إلى المسجد كتب له كتاباه بكل خطوة يخطوها عشر حسنات ، والقاعد في المسجد ينتظر الصلاة كالقانت ويكتب من المصلين حتى يرجع إلى بيته . » .

ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ : « استقيموا ولن تحصوا ، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن . » .

سعد بن إبراهيم عن أبيه أنه قال : سمع عمر بن الخطاب رجلا في المسجد يتكلم فقال : تدرى أين أنت .

عمرو بن ميمون قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون : إن بيوت الله في الأرض المساجد وأن حقاً على الله أن يكرم من زاره فيها .

حبيب بن أبي ثابت قال : كان يقال إيتوا الله في بيته فإنه لم يؤت مثله في بيته وأنه لا أحد أعرف بحق من الله عز وجل .

أبي الدرداء قال : إن من فقه المرء إقباله على حاجته حتى يقبل على صلاته وقلبه فارغ .

ميمون بن جهمان قال : ما رأيت مسلم يسار متلفتاً في صلاة قط خفيفة ولا طويلة ، قال : ولقد انهدمت ناحية من المسجد ، ففرع أهل السوق لهدمتها وإنه لفي المسجد في الصلاة فما التفت .

صلة بن أشيم قال : قال رسول الله ﷺ : « من صلى صلاة لا يذكر فيها شيئاً من أمر الدنيا ثم سأل الله شيئاً أعطاه » .

أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « لولا أن أشق على أمتي لأمرت بالسواك عند كل صلاة ، ولأنحرت العشاء إلى نصف الليل أو إلى ثلث الليل ، وذكر نزوله عز وجل : فقال : من الذي يدعوني فأستجيب له ؟ من ذا الذي يسألني فأعطيه ؟ من ذا الذي يستغفرنى فأغفر له ؟ حتى يطلع الفجر » .

أبي حسين المجاشعي قال : قيل لعامر بن عبد قيس : أتحدث نفسك في الصلاة ؟ قال : نعم ، فلما ولوا قيل قال للذين سألوه ، أو قال

لهم أحدث نفسي بالوقوف بين يدي الرب سبحانه وتعالى ، ومنصرفي من بين يديه .

عمر بن عبد العزيز قال : كان العلماء يهاب أحدهم الرحمن سبحانه وتعالى أن يشد النظر بين يديه مادام يصلي .

عدي بن حاتم قال : ما دخل وقت صلاة قط حتى أشتاق إليها .  
عمار بن ياسر : لا يكتب للرجل من صلاته ماسها عنه .

عائشة عن رسول الله ﷺ قال : « ما من امرئ يكون له صلاة من الليل ، ويغلبه عليها نوم ، إلا كتب له أجر صلاته وكان نومه عليه صدقة » .

أنس بن مالك قال : كان النبي ﷺ إذا صلى الغداة في سفر مشى على راحلته قليلا .

عبيد الله بن المغيرة أنه سمع أبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف كان يسبح قبل صلاة الظهر حتى يفيء القىء أربع ركعات يطيلهن حتى أقول قد قرأ في بعضهن بسورة البقرة .

سعد بن إبراهيم عن أبيه قال : كان عبد الرحمن بن عوف يصلي قبل الظهر صلاة طويلة ، فإذا سمع شد عليه ثيابه وخرج .

أبي عبد الرحمن الحلي قال : إذا صليت المغرب فقم فصل صلاة رجل لا يريد أن يصلي تلك الليلة ، فما رزقت من الليل قياما كان خيرا رزقه وإن لم ترزق قياما ، كنت قد قمت أول الليل .

عبد الله بن عمرو بن العاص قال : صلاة الأوابين الخلوة التي بين المغرب والعشاء حتى يثوب الناس إلى الصلاة .

محمد بن المنكدر يحدث أن النبي ﷺ قال : « من صلى صلاة بين المغرب إلى صلاة العشاء ، فإنها صلاة الأوابين » .

عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه قال : ما أتيت عبد الله بن مسعود في تلك الساعة ، إلا وجدته يصلي ، فقلت له في ذلك ، فقال : نعم ساعة الغفلة يعنى ما بين المغرب والعشاء .

ثابت البناني قال : كان أنس يصلي ما بين المغرب والعشاء ويقول هذه ناشئة الليل .

عبد الكريم بن الحارث يحدث أن رسول الله ﷺ قال : « من ركع عشر ركعات بين المغرب والعشاء بنى له قصر في الجنة ، فقال عمر بن الخطاب : إذا نكث قصورنا أو بيوتنا يا رسول الله ! ، فقال رسول الله ﷺ : الله أكثر فضل ، أو قال : أطيب » .

ابن طاووس عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ يصلي سبع عشرة ركعة من الليل .

حميد بن عبد الرحمن يقول : قال رسول الله ﷺ : « أفضل الصلاة بعد الفريضة قيام الليل ، وأفضل الصوم بعد رمضان صوم المحرم » . عائشة قالت : ما خرج رسول الله ﷺ من عندي قط إلا صلى ركعتين .

حسان بن عطية قال - بلغنا أن رسول الله ﷺ قال : « ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل خير له من الدنيا وما فيها ، ولولا أن أشق على أمتي لفرضتها عليهم » .

مرة قال : قال عبد الله : فضل صلاة الليل على النهار كفضل صدقة السر على العلانية .

ضمرة بن حبيب بن صهيب قال : قال رسول الله ﷺ : « ما تقرب العبد إلى الله تعالى بشيء أفضل من سجود خفى » .

أبي الدرداء قال : لولا ثلاث ما أحببت أن أعيش يوماً واحداً الظمأ لله بالهواجر ، والسجود في جوف الليل ، ومجالسة قوم ينتقون من خيار الكلام كما ينتقى من أطايب النصر .

معضد قال : لولا ظمأ الهواجر ، وطول ليل الشتاء ، ولذاذة التهجيد بكتاب الله عز وجل ما باليت أن أكون يعسوباً .

أبي هريرة قال : كانت صلاة رسول الله ﷺ بالليل يخفض طوراً ويرفع طوراً .

سعيد بن جبير قال : قال مسروق : ما آسى من الدنيا على شيء إلا على السجود لله عز وجل .

عمر بن الخطاب قال : لا يغرنكم صلاة امرئ ولا صيامه ، ولكن انظروا من إذا حدث صدق ، وإذا اتعن أدى ، وإذا أشقى ورع .

حسان بن عطية قال : إن الرجلين ليكونان في صلاة واحدة وإن بينهما من الفضل لكما بين السماء والأرض ، ثم فسر ذلك أن أحدهما يكون مقبلاً على الله بقلبه ، والآخر ساه غافل .

أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : لا يزال الله مقبلاً على العبد في صلاته ما لم يلتفت ، فإذا حرف وجهه انصرف عنه .

مجاهد في قول الله : ﴿ وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾<sup>(١)</sup> قال : من القنوت الركوع والخشوع ، وغض البصر ، وخفض الجناح من رحمة الله

(١) البقرة : من الآية ٢٣٨ .

سبحانه وتعالى ، فكانت العلماء إذا قام أحدهم هاب الرحمن سبحانه وتعالى أن يشد نظره إلى شيء أو يلتفت أو يقلب الحصى أو يعبث بشيء أو يحدث نفسه بشيء من الدنيا إلا ناسياً مادام في صلاته .  
أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الرحمة تواجهه ، فلا يحركن الحصى » .

مسلم بن يسار : إنك إذا كنت قائماً بين يدي أمير أحببت أن يراك متخشعاً لينجح لك حاجتك ، قبل فأين منتهى النظر في الصلاة ، قال موضع السجود حسن .

مطرف عن أبيه : قال : أثبت النبي ﷺ وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل يعني يكي .

عبد الله بن هبيرة أن أبا هريرة كان يقول : الصلاة قربان ، والصدقة فداء ، والصيام جنة ، إنما مثل الصلاة كمثل رجل أراد من إمام حاجته فأهدى له هدية ، ومثل الصدقة كمثل رجل أسر ففدى نفسه ، ومثل الصيام كمثل رجل لقي عدواً وعليه جنة حصينة ، وقال : إذا قام العبد يعني إلى الصلاة ، فإنه في مقام عظيم واقف على الله يناجيه ويتراضاه قائم بين يدي الله الرحمن سبحانه وتعالى يسمع قوله ، ويرى عمله ، ويعلم ما توسوس به نفسه ، فليقبل على الله سبحانه بقلبه وجسده ثم ليرم بصره قصد وجهه خاشعاً أو ليخفضه فهو أقل لسهوه ولا يلتفت ولا يحرك شيئاً بيده ولا يرجله ، ولا شيئاً من جوارحه حتى يفرغ من صلاته ، وليبشر من فعل هذا ولا قوة إلا بالله عز وجل .

عون بن عبد الله قال : أوصى رجل ابنه فقال : يا بني عليك بتقوى الله وإن استطعت أن تكون اليوم خيراً منك أمس ، وغداً خيراً منك

اليوم فافعل ، وإذا صليت صلاة فصل صلاة مودع . وإياك  
تطلب الحاجات فإنها فقر حاضر وإياك وما يعتزر منه .

عبد الله إذا كان العبد في صلاته فإنه يقرع باب الملك وأ  
يدأب قرع باب الملك يوشك أن يفتح له .

أبي هريرة قال : إن أقرب ما يكون العبد من الله تعالى ساجداً ،  
فأكثروا الدعاء عند ذلك .

القاسم بن محمد يقول : إن الصلاة النافلة تفضل في السر على  
العلائية كفضل الفريضة في الجماعة .

أنس بن مالك قال : كنت جالساً مع النبي ﷺ في المسجد ورجل  
يصلى فقال : اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع  
السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم ، أسألك فقال  
النبي ﷺ هل تدرون بما دعا ؟ فقالوا : الله ورسوله أعلم فقال : دعا  
الله باسمه العظيم الذي إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى .

عبد الله بن أبي أوفى قال - قال رسول الله ﷺ : « من كانت له  
حاجة إلى الله ، أو إلى أحد من بني آدم فليتوضأ وليحسن وضوءه ،  
وليصل ركعتين وليثن على الله تبارك وتعالى ، وجل وعلا ، وليصل  
على محمد النبي ﷺ ، ثم ليقل لا إله إلا الله الخليم الكريم ، سبحان الله  
رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين ، اللهم إني أسألك موجبات  
رحمتك وعزائم مغفرتك ، والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل  
ذنب ، اللهم لا تدع لي ذنباً إلا غفرته ، ولاهما إلا فرجته ، ولا حاجة  
هي لك رضا إلا قضيتها بأرحم الراحمين » .

أبي هريرة قال - قال رسول الله ﷺ : « الصلوات كفارات للمخطايا

واقْرَأُوا إِن شِئْتُمْ : ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ، ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ ﴾ (١) .

محمد بن كعب القرظي قال - بلغنا أن رسول الله ﷺ قال : « إن الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر ؛ قال محمد بن كعب : هذا في القرآن : ﴿ إِنَّ تَجْتَنَّبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكُفَّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ (٢) وقال محمد : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَى النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ اللَّيْلِ ﴾ . قال - فطرفا النهار : الفجر والظهر والعصر ، وزلفا من الليل : المغرب والعشاء ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ . فهي الصلوات الخمس .

عبد الله بن سلام قال : كان النبي ﷺ إذا نزل بأهله الضيف أمرهم بالصلاة ثم قرأ ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ﴾ (٣) الآية .

أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « أبردوا بالصلاة في الحر فإن حرها من فيح جهنم أو فيح جهنم » .

سالم بن أبي الجعد قال : قال سلمان : الصلاة مكيال فمن أوفى أوفى له ، ومن طفف فقد علمتم ما قال الله في المطففين .

الحسن أن رسول الله ﷺ قال : مثل الصلاة المكتوبة كالميزان من أوفى استوفى .

(١) هود : من الآية ١١٤ .

(٢) النساء : الآية ٣١ .

(٣) طه : من الآية ١٣٢ .

عقبة بن عاصم أن النبي ﷺ : صلى على قتلى أحد بعد ثمان سنين كالمودع للأحياء ، والمودع للأموات ثم قال : إني من بين أيديكم فرط وأنا عليكم شهيد ، وإن موعداكم الحوض وإني لأنظر إليه في مقامى هذا ، وإني لست أنحشى عليكم أن تشركوا بعدى ، ولكن أنحشى عليكم الدنيا أن تنافسوها ، قال عقبة : وكان آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله ﷺ .

على : أنه توضأ فمسح على نعليه ثم قال : لولا أنى رأيت رسول الله ﷺ يفعل هذا لرأيت أن باطن القدمين أحق بالمسح من ظاهرهما .  
أبي هريرة أن النبي ﷺ : « سها ثم سجد سجدتين » ، وقيل لابن سيرين هل سلم ؟ قال ثبت عن عمر أنه قال : سلم .

سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ يسلم عن يمينه وعن شماله حتى يرى بياض خده ، فقال الزهري لإسماعيل بن محمد . ما سمعنا بهذا عن رسول الله ﷺ ، فقال له إسماعيل : أسمعت حديث النبي ﷺ كله ؟ قال : لا ؛ قال فالنصف ؟ قال ، لا قال : فالثلث ؟ قال : لا ؛ قال : فهذا فيما لم تسمع . وقال عقبة في حديثه : فالثلثين ؟ قال : لا . قال فالنصف ؟ قال : لا . قال فهذا في النصف الذى لم تسمع .

## الصدقة

روى ابن المبارك بسنده عن : عقبه بن عامر قال : سمعت النبي ﷺ يقول : كل امرئ في ظل صدقته يوم القيامة حتى يقضى الله بين الناس .

عقبه بن عامر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : كل امرئ في ظل صدقته حتى يفصل بين الناس ، أو قال يحكم بين الناس قال يزيد : كان أبو الخير لا يخطئه يوم لا يتصدق فيه بشيء ولو كعكة أو بصلة .  
عبد الله بن مسعود قال : ما تصدق رجل بصدقة إلا وقعت في يد الرب قبل أن تقع في يد السائل وهو يضعها في يد السائل ، قال : وهو في القرآن فقرأ عبد الله : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ، وَيَأْخُذُ الصُّلُقَاتِ ﴾ (١) .

أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب - ولا يقبل الله إلا طيباً - إلا كان الله يأخذها بيمينه فيريها ، كما يرى أحدكم فلوله ، أو فصيله حتى تبلغ التمرة مثل أحد .  
عكرمة قال : قال رسول الله ﷺ : تصدقوا ولو بتمره فإنها تسد من الجائع ، وتطفى الخطيئة كما يطفى الماء النار .

عمرو بن مرة أنه سمع خيشمة يحدث عن عدى بن حاتم عن النبي ﷺ ، أنه ذكر النار فتعوذ منها ، وأشاح بوجهه مرتين أو ثلاث

(١) التوبة : من الآية ١٠٤ .

مرات ، ثم قال : اتقوا النار ولو بشق ثمرة ، فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة .

عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه علىهلكته في الحق ، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها .

الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : ما أتفتم على أهليكم في غير إسراف ولا إقتار فهو في سبيل الله .

أبي مسعود أن النبي ﷺ قال : إن المسلم إذا أنفق على أهله نفقة وهو يحتسبها كانت له صدقة .

سليمان بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : صدقتك على المسلمين صدقة ، وعلى ذي رحم صدقة وصلة .

الزهري قال : تصدق عبد الرحمن بن عرف على عهد رسول الله ﷺ بشطر ماله أربعة آلاف ، ثم تصدق بأربعين ألفا ، ثم تصدق بأربعين ألفا ، ثم تصدق بأربعين ألف دينار ، ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله ، ثم حمل على ألف وخمسمائة راحلة في سبيل الله ، وكان عامة ماله من التجارة .

عن عروة بن الزبير قال : لقد تصدقت عائشة بسبعين ألفا وإن درعها لمرقع :

سفيان بن عيينة عن صاحب له يذكره عن بعض العلماء قال : إن الله أعطى لكم الدنيا قرضًا ، وسألكموه قرضًا ، فإن أعطيتموها طيبة بها أنفسكم ، ضاعف الله لكم ما بين الحسنة إلى العشر ، إلى سبعمائة

ضعف إلى أكثر من ذلك ، وإن أخذها منكم وأنتم لها كارهون فصبرتم واحتسبتم ، كان لكم الصلاة والرحمة ، وأوجب لكم الهدى .  
عبد الله بن الشخير قال : أخبرني ابن أخي عامر بن قيس : أن عامر بن قيس كان يأخذ عطاءه فيجعله في طرف ثوبه ، فلا يلقى أحداً من المساكين إلا أعطاه ، فإذا دخل بيته رمى به إليهم فيعدونها فيجدونها سواء كما أعطوها .

أبي هريرة قال : سبق درهم مائة ألف درهم ، قد كان رجل أو كأنه رجل له مال كثير فأخذ من عرض ماله مائة ألف درهم ، فتصدق به . وكان رجل ليس له إلا درهماً ، فأخذ خيرهما ثم فتصدق به .

مالك الدار ، أن عمر بن الخطاب أخذ أربعمائة دينار فجعلها في صرة ثم قال للغلام : اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح ثم تله ساعة في البيت حتى تنظر ماذا يصنع ، فذهب بها الغلام إليه فقال : يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذا في بعض حوائجك ، فقال : وصله الله ، ورحمه ، ثم قال : تعالى يا جارية اذهبي بهذه السبعة إلى فلان ، وبهذه الخمسة إلى فلان ، حتى أنفذها ، فرجع الغلام إلى عمر بن الخطاب فأخبره ووجدته قد أعد مثلها لمعاذ بن جبل فقال : اذهب بها لمعاذ بن جبل ثم تله في البيت ساعة حتى تنظر إلى ما يصنع ، فذهب بها إليه ، فقال : يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذا في حاجتك فقال : وصله الله ورحمه ، تعالى يا جارية اذهبي إلى فلان بكذا ، وإلى بيت فلان بكذا ، وإلى بيت فلان بكذا ، فاطلعت امرأة معاذ ، فقالت : ونحن والله مساكين فاعطنا فلم يبق في الخارقة إلا ديناران ؛ فدحا بها إليها

فرجع الغلام إليه فأخبره فسر بذلك عمر ؛ وقال إنهم إخوة بعضهم  
من بعض .

الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : إن من الصدقة أن يتعلم الرجل  
العلم يتعلمه ابتغاء وجه الله عز وجل .

## الطهور

روى ابن المبارك، بسنده عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل ، فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه .

عطاء بن يسار أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : من صام رمضان فعرف بمحدوده وتحفظ بما ينبغي له أن يتحفظ فيه ، كفر ما قبله .

يحيى بن ابي كثير عن النبي ﷺ قال : إن الله تعالى كره لكم العبث في الصلاة والرفث في الصيام ، والضحك عند المقابر .

ضمرة بن أبي حبيب قال : قال رسول الله ﷺ : إن لكل شيء بابا وإن باب العبادة الصيام .

أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان إذا أفطر عند أهل بيت قال : أفطر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرار ، وتنزلت عليكم الملائكة أو قال صلت .

عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أن الصيام والقرآن يشفعان للعبد ، يقول الصيام : رب منعه الطعام والشهوات بالنهار ، فشفعني فيه . ويقول القرآن : رب منعه النوم بالليل ، فشفعني فيه فيشفعان .

معاذ أبو زهرة قال : كان رسول الله ﷺ إذا صام ثم أفطر قال : اللهم لك صمت ، وعلى رزقك أفطرت .

جابر بن عبد الله قال : إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك  
عن الكلام والمحارم ، ودع أذى الخادم ، وليكن عليك وقار وسكينة  
يوم صيامك ولا تجعل يوم فطرك وصيامك سواء .

أم عمارة بنت كعب جدة حبيب يعنى بن زيد قالت : دخل عليّ  
رسول الله ﷺ ، فقدمت إليه طعاماً فقال لي : كلى فقلت إني صائمة ،  
فقال إن الصائم إذا أكل عنده طعام صلت عليه الملائكة حتى يفرغ  
منه أو قال حتى يقضوا أكلهم .

سعد بن مسعود أن عثمان بن مظعون أتى النبي ﷺ فقال : أئذن  
لنا بالاختصاص ، فقال رسول الله ﷺ : ليس منا من خصى ولا  
اختصى ، إن خصاء أمتي الصيام ، فقال يا رسول الله أئذن لنا في  
الترهب ، فقال : إن ترهب أمتي الجلوس في المساجد لانتظار الصلاة .

## الحج

روى ابن المبارك بسنده عن : سالم عن أبيه أنه كان يكثر الاشتراط  
فى الحج ويقول : أليس تحييكم سنة رسول الله ﷺ .  
عن جابر عن النبي ﷺ سئل عن العمرة أواجبة هى ؟ قال : لا  
وأن تعتمروا خير لكم .

يحيى بن عبد الله قال سمعت أبا يقول : ضحى رسول الله ﷺ ،  
بكبشين أملحين موقوءين ، فقرب أحدهما فقال : اللهم منك وإليك ،  
اللهم إن هذا عن أمة محمد وأهل بيته ، ثم قرب الآخر فقال : بسم  
الله اللهم منك وإليك ، اللهم هذا عنم وحدك من أمتى .

## الذكر

روى ابن المبارك بسنده عن : معاذ بن جبل قال : ما عمل عبد من عمل أتجني له غداً من ذكر الله تعالى .

عبد الله بن بشر صاحب النبي ﷺ يقول قال رجل : يا رسول الله : أى العمل أفضل ؟ قال : لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله .

الحسن قال : سئل النبي ﷺ : أى الأعمال أفضل ؟ قال : أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله تعالى .

أبى هريرة ونحن فى بيت هذه يعنى أم الدرداء أنه سمع رسول الله ﷺ يأتى عن ربه أنه قال : أنا مع عبدى ما ذكرنى ، وتحركت بى شفته .

خالد بن معدان قال : إن الله يقول : من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ومن ذكرنى فى ملاً ذكرته فى ملاً أفضل - أو قال أطيب - منه وأكرم قال - وقال : ما من عبد يضع صدغه للفراش ، وهو يذكر الله تعالى إلا كتب ذاكراً حتى يستيقظ متى استيقظ .

أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى عن النبي ﷺ : ما اجتمع قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة ونزلت عليهم السكينة ، وتغشتهم الرحمة وذكرهم الله فى من عنده .

أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : سبعة يظلهم الله فى ظله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله ، إمام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة

الله عز وجل ، ورجل كان قلبه معلقاً في المسجد ، ورجلان تحابا في الله عز وجل ، ورجل ذكر الله في الخلاء ففاضت عيناه ، ورجل دعت امرأة ذات منصب وجمال إلى نفسها فقال إني أخاف الله رب العالمين ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله بما صنعت يمينه .

أبي سعيد المقبري قال : قيل يا رسول الله أي الحاج أعظم أجراً ؟ قال : أكثرهم لله ذكراً ، قال فأى المصلين أعظم أجراً ؟ قال : أكثرهم لله ذكراً . قال : فأى المجاهدين أعظم أجراً ، قال : أكثرهم لله ذكراً ، قال زهرة فأخبرني أبو سعيد المقبري أن عمر بن الخطاب قال لأبي بكر : ذهب الذاكرون بكل خير .

شرح بن عبيد وعبد الرحمن بن جبير بن نفير أن رسول الله ﷺ قال يوماً : إن ربكم يقول إن عبدي كل عبدي الذي يذكرني وإن كان مكافئاً قرنه .

أبي سعيد الخدري أن رجلاً أتاه وقال : أوصني يا أبا سعيد . فقال له أبو سعيد سألت عما سألت عنه من قبلك ، قال : أوصيك بتقوى الله ، فإنه رأس كل شيء ، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام ، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنه روحك في أهل السماء وذكرك في أهل الأرض ، وعليك بالصمت إلا في حق فإنك به تغلب الشيطان .

مالك بن أنس قال : بلغني أن عيسى بن مريم ﷺ قال لقومه : « لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله تعالى فتنفسوا قلوبكم فإن القلب القاسي بعيد من الله ، ولكن لا تعلمون ، ولا تنظروا في ذنوب الناس

كأنكم أرباب وانظروا فيها كأنكم عبيد ، إنما الناس رجلان ، مبتلى ومغافى فارحموا أهل البلاء واحمدوا الله على العافية . .

عبد الوهاب بن الورد قال : ما اجتمع قوم فى مجلس أو ملاء إلا كان أولاهم بالله الذى يفتح بذكر الله عز وجل حتى يفيضوا فى ذكره ، وما اجتمع قوم فى مجلس أو ملاء إلا كان أبعدهم من الله الذى يفتح بالشر ثم يخوضوا فيه .

سعيد بن جبير قال : الخشية أن تخشى الله حتى تحول خشيته بينك وبين معصيته ؛ فذلك الخشية ، والذكر طاعة الله ، ومن أطاع الله فقد ذكره ، ومن لم يطع الله فليس بذاكر وإن أكثر التسييح وتلاوة الكتاب .

خالد بن عمران يقول : قال رسول الله ﷺ : من أطاع الله فقد ذكر الله ، وإن قلت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن ، ومن عصى الله فقد نسى الله وإن كثرت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن .

عيسى بن عمرو قال : كأنهم ذكروا عند ربيع بن خثيم شيئاً من أمر الناس ، فقال ربيع : ذكر الله خير لكم من ذكر الرجال .

حمزة بن بعبض ولد ابن مسعود قال : طوبى لمن أخلص دعاءه وعبادته لله ، ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه ، ولم ينسه ذكر الله ما تسمع أذناه ، ولم يحزن نفسه بما أعطى غيره .

أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : إني لأستغفر الله وأتوب إليه فى كل يوم مائة مرة .

عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير قال : « الأواب الحفيظ » الذى لا يقوم من مجلسه حتى يستغفر الله سبحانه وتعالى .

صبيد بن عمير في قول الله تعالى : ﴿ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴾ (١) .  
 قال : هم الذين يذكرون ذنوبهم في الخلاء ويستغفرون منه .  
 علي بن أبي طالب قال : ما حدثني أحد عن رسول الله ﷺ إلا استحلفته غير أبي بكر ، إنه حدثني أبو بكر ، وصدق أبو بكر ،  
 إنه سمع النبي ﷺ ويقول : ما من رجل يذنب ذنبًا فيتوضأ ، فيسبغ  
 الوضوء ، ثم يصل ركعتين ثم يستغفر ربه إلا غفر الله تعالى له .  
 مالك بن الحارث قال : يقول الله تعالى : إذا شغل عبدي ثناؤه  
 علي ، عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين .  
 صبيد بن عمير قال : تسيحة بحمد الله في صحيفة مؤمن خير له  
 من جبال الدنيا تصير معه ذهبًا .  
 سعيد بن جبير قال : إن أول من يدعى إلى الجنة الذين يحمدون  
 الله على كل حال ، أو قال في السراء والضراء .  
 الحسن أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول : الحمد لله بالإسلام  
 فقال : إنك لتحمده على نعمة عظيمة .  
 أبي سعيد مولى ابن عامر أن رسول الله ﷺ مر على رجل وهو  
 يقول : الحمد لله الذي جعلني من أمة محمد ، فقال رسول الله ﷺ :  
 كفى بها من نعمة .  
 سعيد بن جبير قال : إذا قال أحدكم لا إله إلا الله وحده لا شريك  
 له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، فليقل الحمد لله  
 رب العالمين ثم قرأ ﴿ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ الحمد لله رب العالمين .

(١) الإسراء : من الآية ٢٥ .

عثمان بن حيان قال : أكلنا مع أم الدرداء طعامًا فأغفلنا الحمد لله ،  
فقلت : يا بني لا تدعوا أن تأدموا طعامكم بذكر الله أكلاً وحماً خيراً  
من أكل وصمت .

شهر بن حوشب قال : كان يقال إذا جمع الطعام أربعاً كمل كل  
شيء من شأنه : إذا كان أوله حلاله ، وذكر اسم الله تعالى ، وكثرت  
عليه الأهدى ، وحمد الله تعالى عليه حين يفرغ منه فقد كمل كل شيء  
من شأنه .

الحسن أن رسول الله ﷺ قال : ألا أتبعكم بأفضل الكلام : ليس  
القرآن ، وهو من القرآن سبحانه الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله والله  
أكبر .

عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : نزل بأبي الدرداء رجل فقال  
أبو الدرداء : أمتيم ففسر ، أو ظاعن فنعلف ، قال : بل ظاعن ،  
فقال : ما أجد لك شيئاً أعلمك أفضل من كلمات سمعتن من رسول  
الله ﷺ أو قال علمنيهن رسول الله ﷺ تدرك به من قلبك ولا يدركك  
من بعدك إلا من جاء بهن ، تكبر في دبر كل صلاة أربعاً وثلاثين ،  
وتحمد ثلاثاً وثلاثين وتسيح ثلاثاً وثلاثين .

قيس بن بشر التغلبي قال : كان أبي جليلاً لأبي الدرداء بدمشق ،  
وكان بدمشق رجل من أصحاب رسول الله ﷺ من الأنصار يقال له  
ابن الحنظلية ، وكان رجلاً متوحداً قلماً يجالس الناس ، وإنما هو صلاة .  
فإذا انصرف فإنما هو تكبير ، وتسيح وتهليل حتى يأتي منزله ، فمر  
بنا يوماً ونحن عند أبي الدرداء فسلم فقال أبو الدرداء : كلمة تنفعنا

ولا تضرك فقال لنا رسول الله ﷺ : إياكم قادمون على إخوانكم ، فأصلحوا لباسكم وأصلحوا رجالكم حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس إن الله لا يحب الفحش والتفحش .

ربيع بن خيثم قال : أقلوا الكلام إلا في تسع : تسييح ، وتحميد ، وتهليل ، وتكبير ، وقراءة القرآن ، وأمر بالمعروف ، ونهي عن المنكر ، وسؤالك الخير ، وتعوذك من الشر .

أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : ألا أدلك على كلمة كنز من كنوز الجنة ؟ قلت بلى يا رسول الله ! قال : لا حول ولا قوة إلا بالله

أبي موسى الأشعري قال : كنت مع رسول الله ﷺ في غزاة فلما أقبلنا وأشرفنا على المدينة كبر الناس تكبيرة ، ورفعوا بها أصواتهم ، فقال رسول الله ﷺ : إن ريكم ليس بأصم ولا غائب ، هو بينكم وبين رؤوس رواحلكم ، ثم قال : يا عبد الله بن قيس ! ألا أعلمك كلمة كنزا من كنوز الجنة ؟ لا حول ولا قوة إلا بالله .

عبد الله أبي طلحة عن أبيه أن رسول الله ﷺ جاء ذات يوم ، والبشر يرى في وجهه فقال : إنه جاءني جبرائيل فقال : أما يرضيك يا محمد ؟ أن لا يصلي عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشراً ، ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشراً .

الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : بحسب المؤمن من البخل إذا ذكرت عنده « فلم يصل علي » صلوات الله عليه وسلم تسليماً .

عبد الله بن عمرو أن رجلاً قال : يا رسول الله ! إن المؤذنين يفضلوننا ، قال رسول الله ﷺ : قولوا كما يقولون ، فإذا فرغت فسل تعطه .

عبد الله بن أبي أوفى قال : كان رسول الله ﷺ إذا أصبح قال :  
أصبحنا وأصبح الملك والكبرياء والعظمة والخلق والليل والنهار ؛  
وما سكن فيها لله وحده لا شريك له ، اللهم اجعل أول هذا النهار  
صلاحًا ، وأوسطه فلاحًا ، وآخره نجاحًا ، وأسألك خير الدنيا والآخرة  
يا أرحم الراحمين .

الحسن أنه قال : إذا نظر إليك الشيطان فراك مداويًا في طاعة الله  
فبذاك وبذاك ، فراك مداومًا ملك ورفضك ، وإذا كنت مرة هكذا ،  
ومرة هكذا طمع فيك .

عن أبي الضحى قال : سمعته يقول : إن عباد الله الذين لا خوف  
عليهم ولا هم يحزنون الذين إذا رؤوا ذكر الله .

الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : إن عباد الله إذا رؤوا ذكر الله  
تعالى .

الحسن قال : إن من أفضل العمل ، الورع والتفكير .  
عون بن عبد الله قال : قلت لأم الدرداء : أي عبادة أي الدرداء  
كان أكثر ؟ قالت : التفكير والاعتبار .

حميد بن هلال : خرج أبو رفاعة يريد السوق فلقى رجلاً فقال :  
أين تريد ؟ فلما أكثر عليه قال : أذكر الله عز وجل حيث لا يذكر .  
أي الدرداء قال : إن أحب عباد الله إلى الله الذين يحبون الله ،  
ويحبون الله إلى الناس والذين يراعون الشمس والقمر والنجوم والأظلة  
لذكر الله عز وجل .

سعيد بن جبير قال : سئل رسول الله ﷺ من أولياء الله ؟ قال :  
الذين إذا رؤوا ذكر الله عز وجل .

عبد الله بن مسعود أن الجبل يقول للجبل : يا فلان . هل مر بك  
اليوم ذاكر لله فإن قال نعم سر به ثم قرأ عبد الله بن مسعود ﴿ وَقَالُوا  
اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۗ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴾ إلى قوله : ﴿ أَنْ دَعَوْا  
لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴾<sup>(١)</sup> قال : أفلا تراهن يسمعن الزور ولا يسمعن الخير .

فتادة قال : كان يقال : ما سهر لليل منافق - اهـ .

عمر بن الخطاب قال : من نام عن حربه ، أو عن شيء منه ،  
فقرأه فيما بين صلاة الفجر ، وصلاة الظهر ، كتب له كأنما قرأها  
من الليل .

---

(١) مريم : الآيات ٨٨-٩١ .

## الدعاء

روى ابن المبارك بسنده عن : صفوان بن سليم قال : قال رسول الله ﷺ : إن القلوب أوعى وبعضها أوعى من بعض فادعوا الله أيها الناس حين تدعون وأنتم موقنون بالإجابة ، فإن الله لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب غافل .

علقمة بن مرثد وإسماعيل بن أمية أن رسول الله ﷺ كان إذا فرغ من صلاته - رفع يديه وضحا وقال : رب اغفر لي ما قدمت ، وما أخرت ، وما أسررت ، وما أعلنت ، وما أسرفت ، وما أنت أعلم به مني ، أنت المقدم ، وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت ، لك الملك ولك الحمد .

رجل من أصحاب النبي ﷺ قال : أتيت النبي ﷺ ضحى أقال وهو يصلى الضحى - حصين يشك - فسمعتة يقول مائة مرة : اللهم اغفر لي وارحمني ، قال عبد الرحمن يعجبني الرجل أن يقول هذا في السحر عند وجه الصبح .

الحسن في هذه الآية : ﴿ اذْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾<sup>(١)</sup> قال اعملوا وأبشروا ، فإنه حق على الله أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله .

أبي هريرة قال - سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يدخل الجنة

(١) غافر : من الآية ٦٠ .

من أمتي زمرة هم سبعون ألفاً تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر ،  
فقال أبو هريرة فقام عكاشة الأسدي فقال : يا رسول الله ادع الله أن  
يجعلني منهم ، قال : اللهم اجعله منهم ، ثم قام رجل من الأنصار  
فقال : ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال سبقتك بها عكاشة .

القاسم بن عبيد قال : قلت لأنس بن مالك : يا أبا حمزة ، ادع  
الله لنا ، قال الدعاء يرفعه العمل الصالح .

سفيان قال : بلغنا أنه كان من دعاء النبي ﷺ : اللهم سلم ، سلم .

أنس بن مالك أن النبي ﷺ عاد رجلاً من المسلمين قد خفت  
وصار مثل الفرخ ، فقال رسول الله ﷺ : هل كنت تدعو الله  
بشيء ؟ قال : نعم ، كنت أقول : اللهم ما كنت معاقبني في الآخرة  
فجعل لي في الدنيا ، فقال رسول الله ﷺ : سبحان الله لا تطيقه  
أو لا تستطيعه فهلا قلت : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ  
حَسَنَةً وَيَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (١) فدعا الله فشفاه .

أبي موسى قال - كنا مع الرسول ﷺ فجعلنا لا نعلوا شرقاً  
ولا نهبط وادياً إلا رفحنا أصواتنا بالكبير ، فدنا منا النبي ﷺ فقال :  
أيها الناس إنكم لستم تدعون أصم ولا غائباً ، إنما تدعون سميعاً  
قريباً ، فأربعوا على أنفسكم ، ثم قال : يا عبد الله بن قيس ألا أعلمك  
كلمة من كنوز الجنة ؟ لا حول ولا قوة إلا بالله .

الحسن قال - قال داود : رب لا مرض يفنيني ولا صحة تنسيني  
ولكن بين ذلك .

(١) البقرة : الآية ٢٠١ .

الربيع بن خيثم قال : مناشدة العبد لربه عز وجل أن يقول قضيت  
نفسك الرحمة ، وما رأيت أحداً يقول : قد أدبت ما على فأد ما عليك .  
عبد الله بن شداد قال : قال رجل : يا رسول الله ما الأواه ؟ قال  
الأواه : الخاشع الدعاء المتضرع ، ثم قرأ ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لِأَوْاهٍ  
حَلِيمٌ ﴾ (١) .

---

(١) التوبة : من الآية ١١٤ .

## الأخلاق

روى ابن المبارك بسنده عن : عمر بن الخطاب قال - قال رسول الله ﷺ : إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه .

يحيى بن أبي كثير قال - قال رسول الله ﷺ : إن الله لا ينظر إلى صوركم ، ولا إلى أموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ، فمن كان له قلب صالح تخنن الله عز وجل عليه وإنما أنتم بنى آدم أكرمكم عند الله أتقاكم .

زيد قال : يسرنى أن يكون لى فى كل شىء نية حتى فى الأكل والنوم .

أبى عبيدة بن عقبة قال : من سره أن يكمل له عمله ، فليحسن نيته فإن الله سبحانه وتعالى يأجر العبد إذا أحسن نيته .

عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال اجلسوا إلى التوابين فإنهم أرق شىء أفئدة - اهـ .

سليمان قال : إن لكل امرئ جوانباً وبراءياً ، فمن يصلح جوانبه يصلح الله برانيه ، ومن يفسد جوانبه يفسد الله برانيه .

شداد بن أوس عن النبى ﷺ قال : الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والفاجر من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله .

الحسن قال : اعتبروا الناس بأعمالهم ، ودعوا قولهم فإن الله لم يدع قولاً إلا جعل عليه دليلاً من عمل يصدقه أو يكذبه ، فإذا سمعت قولاً حسناً فرويداً بصاحبه ، فإن وافق قولاً وعملاً فنعمة ونعمة عين فأخه وأحبيه ، وأردده ، وإن خالف قولاً وعملاً فماذا يشبه عليك منه ، أو ماذا يخفى عليك منه ؟ إياك وإياه ، لا يخذعنك كما خدع ابن آدم ، إن لك قولاً وعملاً فعملك أحق من قولك ، وإن لك سريرة وعلانية فسريرتك أحق بك من علانيتك وإن لك عاجلة وعاقبة فعاقبتك أحق بك من عاجلتك .

بكر بن عبد الله قال : لما كانت فتنة بن الأشعث قال طلق ابن حبيب اتقوها بالتقوى ، قال بكر : أجمل لنا التقوى ، قال : التقوى عمل بطاعة الله على نور من الله ، رجاء رحمة الله ، والتقوى ترك معصية الله على نور من الله خيفة عقاب الله .

سفيان قال : أمهم أبو وائل فرأى من صوته فقال كأنه أعجبه قال : فترك الإمامة .

يزيد بن مسيرة قال - قال الله : إني لست كل كلام الحكيم أتقبل ، ولكنني أنظر إلى همه وهواه ، فإن كان همه وهواه لي جعلت صمته وقاراً وحمداً لي ، وإن لم يتكلم .

المغيرة بن حكيم قال - قالت فاطمة بنت عبد الملك : ما مغيرة ! قد يكون من الرجال من هو أكثر صلاة وصوماً من عمر بن عبد العزيز ، ولكن لم أر رجلاً من الناس قط أشد فرقا من ربه من عمر بن عبد العزيز ، فكان إذا دخل بيته ألقى نفسه في مسجده ، فلا يزال يركى ويدعو حتى تغلبه عيناه، ثم يستيقظ فيفعل مثل ذلك ليلته أجمع.

توبة العنبري قال : أرسلني صالح بن عبد الرحمن إلى سليمان ابن عبد الملك فقدمت عليه ، فقلت لعمر بن عبد العزيز : هل لك حاجة إلى صالح ؟ فقال : قل له عليك بالذي يبقى لك عند الله ما بقي عند الله بقي عند الناس ، وما لم يبق عند الله لم يبق عند الناس .

سفيان قال : قال رجل للحسن . أوصني ؟ قال : أعز أمر الله يعزك الله - امر .

أبي قتادة ، وأبي الدهماء قالا : أتينا على رجل من أهل البادية فقال البدوي : أخذ رسول الله ﷺ بيدي ، فعلمني مما علمه الله فكان مما حفظت عنه أن قال : وإنك لن تدع شيئاً اتقاء الله إلا أعطاك الله خيراً منه .

أبي بن كعب قال - ما ترك عبداً شيئاً لا يتركه إلا لله إلا أتاه الله بما هو خير منه من حيث لا يحتسب ، ولا تهاون عبد أو أخذه من حيث لا يصلح إلا أتاه الله بما هو أشد منه من حيث لا يحتسب . سهل الأنصاري قال - قال رسول الله ﷺ : « ما من امرئ مسلم ينصر امرأ مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمة إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته » .

الشعبي قال : كنت سمعت النعمان بن بشير يقول : يأبها الناس تراحموا فإني سمعت رسول الله ﷺ بأذني المسلمون كالرجل الواحد إذا اشتكى منه عضو من أعضائه تداعى له سائر جسده .

الحسن قال - قال نبي الله ﷺ : والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة إلا رحيم ، قالوا كلنا رحماء ، قال : برحمة أحدكم خويصته حتى يرحم الناس ، قال إسماعيل قال يونس بيده كأنه يريد العامة .

معاذ بن أنس الجهني عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : « من حمى مؤمناً » من مأزق بعث له يوم القيامة ملك يحميه من نار جهنم ، ومن رمى مؤمناً بشيء يريده شينه حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج بما قال .

أبي أمامه قال - قال رسول الله ﷺ : من مسح رأس يتيم كان له بكل شعره مرت يده عليها حسنة .

عمرو بن مالك ، أو مالك بن عمرو قال - قال رسول الله ﷺ : من ضم يتيماً بين أبوين مسلمين حتى يستغنى فقد وجبت له الجنة .  
أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : خير بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه ، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه ثم قال ﷺ بأصبعيه أنا وكاف اليتيم في الجنة كهكذا وهو يشير بأصبعيه .  
أبي هريرة أنه رأى رجلاً على دابته وغلاماً يسمى خلقه فقال : يا عبدالله احمله فإنما هو أخوك روحه مثل روحك فحملة .

عبدالله بن عمرو قال : مر رسول الله ﷺ برجل يحلب شاة فقال : إذا حلبت فأبق لولدها ، فإنها من أبر الدواب .

عبدالله بن مسعود قال : إذا رأيتم أحاكم قارف ذنباً فلا تكونوا أعواناً للشيطان عليه تقولوا : اللهم اخزه ، اللهم العنه ولكن سلوا الله العافية ، فإننا أصحاب محمد ﷺ كنا لا نقول في أحد شيئاً حتى نعلم على ما يموت ، فإن ختم له بخير علمنا - أو قال رجونا - أن يكون قد أصاب خيراً وإن ختم له بشر خفنا عليه عمله .

عمر بن الخطاب قال : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، فإنه

أهون أو قال أسير لحسابكم ، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا ، وتجهزوا  
للعرض الأكبر ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ (١) .

سفيان أن الأحنف بن قيس قال : ثلاث ليس عندي فيهن أناة :  
الضيف إذا نزل بي أن أعمل له ما كان ، والجنابة لا أحبسها ، والأيم  
إذا عرض لها رغبة أن أزوجهها .

مجاهد قال : اتباع الجنائز أفضل من النوافل .

سعيد بن المسيب قال : للمتحابين في الله عز وجل منابر من نور  
يغبطهم بها الشهداء .

عبد الرحمن بن مابط قال : أخبرت أن عن يمين الرحمن تبارك  
وتعالى - وكلتا يديه يمين - قوم على منابر من نور ، وجوههم نور ،  
عليهم ثياب خضر تغش أبصار مناظرين دونهم ، وليسوا بأنبياء  
ولا شهداء ، قيل : فما هم ؟ قال : قوم تحابوا في جلال الله حين  
عصى الله في أرضه .

طلحة بن عبيد الله بن كرز قال : ما تحاب متحابان في الله إلا كان  
أحبهما إلى الله أشدهما حباً لصاحبه ، وإن بما لا يرد من الدعاء دعاء  
المرء لأخيه بظهور الغيب ، وما دعا له بخير، إلا قال الملك الموكل ولك  
مثله .

عبدالله بن عمرو بن العاص قال - قال رسول الله ﷺ : المقسطون  
يوم القيامة على منابر من نور على يمين الرحمن - وكلتا يديه يمين -  
الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا .

(١) الحاقة : الآية ١٨ .

أبي الدرداء قال : نعم صومعة المرء المسلم بيته ، يحفظ عليه نفسه وسمعه وبصره ، إياكم ومجالس السوق فإنها تلهي وتطغي .  
عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقى لها بالاً يرفعه الله تعالى بها درجات ، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله عز وجل لا يلقى لها بالاً يهوى بها في جهنم .

علقمة بن أبي وقاص الليثي أن بلال بن الحارث المازني قال له إنني رأيتك تدخل على هؤلاء الأمراء وتفشاهم فانظر ماذا تحاضرهم به ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الرجل ليتكلم بالكلمة من الخير ما يعلم مبلغها يكتب الله له رضوانه إلى يوم يلقاه ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من الشر ، ما يعلم مبلغها يكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه ، وكان علقمة يقول : رب حديث قد حال بيني وبينه ما سمعت من بلال .

بهذا بن حكيم عن أبيه عن جده قال - سمعت رسول الله ﷺ يقول : ويل لمن يحدث فيكذب ليضحك به القوم، ويل له ، ويل له .  
أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك جلساءه يهوى بها أبعد من الرياء .

عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : من أرض الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس ومن أرض الناس برضاء الله كفاه الله .  
ابن مسعود قال : لأن أحسن بجمرة أحرقت ما أحرقت وأبقت ما أبقت أحب إلى من أن أقول لشيء كان ليته لم يكن أول شيء لم يكن ليته كان .

عن موسى بن أبي عيسى المديني قال - قال رسول الله ﷺ :  
كيف بكم إذا فسق فتياتكم وطغى نساؤكم ؟ قالوا يا رسول الله وإن  
ذلك لكائن ؟ قال : نعم وأشد منه ، كيف بكم إذا لم تأمروا بالمعروف  
ولم تنهوا عن المنكر ؟ قالوا يا رسول الله وإن ذلك لكائن ؟ قال  
وأشد منه ، كيف بكم إذا رأيتم المنكر معروفاً والمعروف منكراً ؟ .

الشعبي قال - سمعت النعمان بن بشير يقول على هذا المنبر : يا أيها  
الناس خذوا على أيدي سفهائكم ، فإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول :  
إن قومًا ركبوا في سفينة فاتفقوا فأصاب كل رجل منهم مكانًا ، فأخذ  
رجل منهم الفأس فنقر مكانه قالوا ما تصنع ؟ قال : مكاني أصنع به  
ماشيت ، فإن أخذوا على يديه نجوا ونجا وإن تركوه غرق وغرقوا ،  
خذوا على أيدي سفهائكم قبل أن تهلكوا .

أنس بن مالك قال : عطس رجلان عند النبي ﷺ فشمت رسول  
الله ﷺ أحدهما ولم يشمت الآخر ، وقال إن هذا قال الحمد لله ولم  
تقل أنت الحمد لله .

عقبة بن عامر قال : قلت يابني الله ما النجاة ؟ قال ، أن تمسك  
عليك لسانك ، ويسمك يتيك ، ولبك على خطيئتك .

أبي أمامة عن النبي ﷺ قال : « قال الله تعالى : أحب ما يعبدني  
به التصح لي .

أبي نجيع قال : سمعت طاووسًا يسأل أبي عن حديث فرأيت طاووسًا  
كأنه يعقد يده ، وقال أبي : يا أيها عبد الرحمن إن لقمان قال : إن من  
الصمت حكمًا ، وقليل فاعله ، فقال له طاووس : يا أيها نجيع ، إنه  
من تكلم واتقى الله خير ممن صمت واتقى الله .

حذيفة بن اليمان : إن الحق ثقيل ، وهو مع ثقله مرىء ، وإن الباطل خفيف وهو مع خفته وبيء ، وترك الخطيئة أيسر ، أو قال : خير - من طلب التوبة ، ورب شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً .  
سمرة بن جندب قال : من سره أن يعلم ماله عند الله فلينظر ماله عنده ، ومن سره أن يعلم مكان الشيطان منه ، فلينظره عند عمل السر .

عبد الرحمن بن زياد بن أنعم أن أبا ذر الغفاري دعى إلى وليمة فلما حضر إذا هو بصوت فرجع فقيل له : ألا تدخل ؟ فقال : أسمع فيه صوتاً . ومن كثر سواداً كان من أهله ، ومن رضى عملاً كان شريك من عمله .

عطاء بن السائب أن أبا البخري وأصحاباً له كان إذا مشى أحدهم في الطريق فسمع ثناء عليه ثنى منكبیه وقال : خشعت لله .  
سعيد بن جابر أن أبا الدرداء قال : إذا قضى الله قضاء أحب أن يرضى بقضائه .

سفيان عن زيد قال عبد الله : الفرح والروح في اليقين والرضا ، والغم والحزن في الشك والسخط .  
أبي الدرداء قال : أحسنوا مجاورة نعم الله ، ولا تملوها ، ولا تنفروا فإنها لكل ما نفرت عن قوم فعادت إليهم .

بكير بن الأشج أن عبد الله بن سلام خرج من حائط له بحزمة حطب يحملها فلما أبصره الناس قالوا : يا أبا يوسف ! قد كان يعنى في ولدك وعبيدك من يكفيك هذا ، قال : أردت أن أجرب قلبي هل ينكر هذا .

على بن يزيد قال : سمعت عمر بن عبد العزيز وهو يخطب يقول :  
ألا إن أفضل العمل أداء الفرائض وإمساك عن المحارم .

سليم بن جابر بن سليم قال : أتيت النبي ﷺ وهو جالس مع أصحابه ، فقلت أيكم النبي ؟ فأما أن يكون أوماً إلى نفسه ، وإما أشار إليه القوم ، فإذا هو محتب ببرودة قد وقع هو بها على قدميه ، فقلت يا رسول الله إنني سأئلك عن أشياء فعلمني ، قال : اتق الله ولا تحقرن من المعروف شيئاً ، ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقى ، وإياك والمخيلة فإن الله لا يحب المخيلة وإن امرؤ شتم بغيرك بأمر يعلمه فيك فلا تعيره بأمر تعلمه فيه ، فيكون لك أجره ، وعليه إثمه ولا تسبن أحداً .  
هشام بن عروة عن أبيه قال : مكتوب في الحكمة بنى : لتكن كلمتك طيبة ، وليكن وجهك بسيط تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم العطاء .

عائشة قالت : من سره أن يسبق الدائب المجهد فليكيف نفسه عن الذنوب فإنكم لم تلقوا الله بشيء خير لكم من قلة الذنوب اهـ .  
أبي جعفر قال : قال رسول الله ﷺ : من كف لسانه عن أعراض الناس أقال الله عشرته يوم القيامة ، ومن كف غضبه عنهم وقاه الله عذابه يوم القيامة .

عبد الله بن مسعود : لو سخرت من كلب لخشيت أن أكون كلباً وإنني أكره أن أرى الرجل فارغاً ليس في عمل آخرة ولا دنيا .  
أبي بكر بن حزم قال - قال رسول الله ﷺ : إنما يتجالس المتجالسان بأمانة الله ، فلا يحل لأحدهما أن يغش على صاحبه ما يكره

أبي هريرة قال - قال رسول الله ﷺ : إذا أحب أحدكم أن يعلم قدر نعمة الله عليه فلينظر إلى من هو تحته ، ولا ينظر إلى من هو فوقه .  
جابر بن عبد الله قال : سمعت النبي ﷺ يقول قبل موته بثلاث :  
ألا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن .

الحسن قال - ذكر لنا أن النبي ﷺ قال : ليس الغنى عن كثرة المال ، ولكن غنى القلب .

أنس بن مالك قال - قال رسول الله ﷺ : إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر ، وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير ، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه ، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه .

عمر بن الخطاب وهو يخطب في الناس ويقول : لا يعجبكم من الرجل طنطنته ، ولكنه من أدى الأمانة ، وكف عن أعراض الناس فهو الرجل .

أبي ذر قال : أوصاني خليلي ﷺ إذا صنعت مرقة فأكثر ماءها ثم انظر إلى أهل بيت من جيرائك فأصبههم منه بمعروف .  
حوط بن رافع أن عمرو بن عتبة كان يشترط على أصحابه أن يكون خادمهم قال : فخرج في الرعى في يوم حار . فأتاه بعض أصحابه فإذا هو بالغمامة تظله وهو نائم ، فقال : أهبشر يا عمرو ! فأخذ عليه عمرو أن لا يخبير به أحداً .

قتادة قال : أتيت أن عامر بن عبد قيس تخلف عن أصحابه فقيل له إن هذه الأجمة فيها الأسد وإنما نخشى عليك ، فقال : إني لا أستحي من ربي أن أخشى شيئاً دونه .

بلال بن سعد قال : إن المعصية إذا أخفيت لم تضر إلا صاحبها وإذا أعلنت فلم تغير ضرت العامة .

أزهر بن راشد الكندي أن رسول الله ﷺ قال : إن العبد ليبدى عن نفسه ماستره الله فيتمادى في ذلك حتى يمقته الله .

عمر بن عبد العزيز قال : كان يقال إن الله تعالى لا يعذب العامة بذنب الخاصة ، ولكن إذا عمل المنكر جهاراً استحقوا كلهم العقوبة .

عبد الله بن الحسن قال - قال علي : لا يترك الناس شيئاً من دينهم إرادة استصلاح دنياهم إلا فتح الله عليهم ما هو أضر عليهم وما هو شر عليهم منه .

أنس بن مالك قال - قال رسول الله ﷺ : « من أتعش حقاً بلسانه جرى له حتى يأتي الله يوم القيامة فيوفيه ثوابه » .

وقال حبان : « حقاً يعمل به بعده » .

ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال : « أمرني جبريل أن أيسر » .

عبد الله بن عمر عن أبيه قال - قال رسول الله ﷺ : « من ظلم شبراً من الأرض خنق به يوم القيامة » .

أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال : « رأيت ليلة أسرى بي رجلاً تقطع ألسنتهم بمقاريض من نار فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء خطباء من أمتك يأمرون الناس بما لا يفعلون .

الحسن أنه ذكر رسول الله ﷺ فقال لا والله ما كانت تغلق دونه الأبواب ، ولا تقوم دونه الحجية ، ولا يندى عليه بالجفان ، ولا يراح عليه بها ، ولكنه كان بارزاً من أراد أن يلتقى نبي الله ﷺ لقيه ،

وكان والله يجلس بالأرض ويوضع طعامه بالأرض ، ويلبس الغليظ ، ويركب الحمار ، ويردف بعده ، ويلعق والله يده .

رجل قال : كان طارق قال : إن لم يبايع سعيد بن المسيب لأقتله قال : فدخلنا على سعيد بن المسيب فقلنا له . فقال : لا أبايع لرجلين . فقليل له تغيب ، فقال : أحيث لا يقدر على الله ؟ فقلنا اجلس في بيتك ، فقال : أدعى إلى الفلاح فلا أجيب ؟ .

خالد الربيعي قال : كنا نتحدث أن مما يعجل عقوبته أو قال : لا يؤخر عقوبته الأمانة تخان ، والإحسان يكفر ، والرحم تقطع والبني على الناس .

ثوبان قال - قال النبي ﷺ : إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه - اهـ .

ابن عباس قال : مر بنا رسول الله ﷺ بقبرين فقال : إنهما ليعذبان وما يعلنان في كبير ، أما أحدهما فكان لا يستتره من البول وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة ، ثم قال : فأخذ جريدة فشققها بنصفين ، فغرز في كل قبر واحدة ، فقليل يا رسول الله ! لم فعلت هذا ؟ فقال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا .

شعيب الجبائي قال : إذا كمل فجور الإنسان ملك عينيه فمتى شاء أن يبكي يبكي - اهـ .

ضمرة بن حبيب أن رسول الله ﷺ قال : إن أول شيء يرفع من هذه الأمة : الأمانة والخشوع حتى لا تكاد ترى خاشعاً . اهـ .

زيد أن أبا بكر قال لعمر بن الخطاب : إني موصيك بوصية إن

حفظتها ، إن الله تعالى حقًا بالنهار لا يقبله بالليل ، والله في الليل حقًا لا يقبله في النهار ، وإنما لا تقبل نافلة حتى تؤدي الفريضة إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم في الدنيا الحق ، وثقله عليهم ، وحق الميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلًا ، إنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم في الدنيا الباطل وخفته عليهم ، وحق للميزان ألا يوضع فيه إلا الباطل أن يخف وأن الله ذكر أهل الجنة بصالح ما عملوا ، وتجاوز عن سيئاتهم فيقول قائل : أنا أفضل من هؤلاء - وذكر آية الرحمن ، وآية العذاب . فيكون المؤمن راغبًا راهبًا ، ولا يتمنى على الله غير الحق ، ولا يلقي يده إلى التهلكة ، فإن حفظت قولي فلا يكون غائب أحب إليك من الموت ، ولا بد لك منه ، وإن ضيقت وصيتي فلا يكون غائب أبغض إليك من الموت ، ولن تعجزه .

الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : كلكم يجب أن يدخل الجنة ؟ قالوا : نعم جعلنا الله فداك .

قال فاقصروا من الأمل ، وتبينوا حالكم من أنصاركم ، واستحيوا من الله حق الحياء .

قلنا : كلنا نستحي من الله .

قال : الحياء من الله : أن لا تنسوا المقابر والبلى ، ولا تنسوا الجوف وما وعى ولا الرأس وما حوى ، ومن يشتهي كرامة الآخرة يدع زينة الدنيا ، هنالك يكون قد استحي من الله وأصاب ولاية الله .

حكيم بن عمير أن النبي ﷺ قال : من فتح له باب من الخير ما ينتهزه فإنه لا يدري متى يخلق عنه - اهـ .

## الزهد

روى ابن المبارك بسنده عن : عون بن عبد الله أنه كان يقول : كم من مستقبل يوماً لا يستكمله ، ومنتظر غداً لا يبلغه ، لو تنظرون إلى الأجل ومسيره لأبغضتم الأمل وغروره .

أبي الدرداء قال : أضحكني ثلاث ، وأبكاني ثلاث ، أضحكني مؤمل دنيا والموت يطلبه ، وغافل وليس بمغفول عنه ، وضاحك يملأ فيه ولا يدري أرض الله أم أسخطه ، وأبكاني فراق الأختة محمد وحزبه وهول المطلع عند غمرات الموت ، والوقوف بين يدي الله عز وجل يوم تبدو السريرة علانية ، ثم لا أدرى إلى الجنة أم إلى النار .

عبد الله بن عمر قال - قال رسول الله ﷺ : « ما زان الله العباد بزينة أفضل من زهادة الدنيا وعفاف في بطنه وفرجه » .

بلال بن سعد قال : زاهدكم راغب ، ومجاهدكم مقصر ، وعالمكم جاهل ، وجاهلكم مغتر .

علي بن أبي طالب قال : إنما أخشى عليكم اثنين : طول الأمل ، واتباع الهوى ، فإن طول الأمل ينسى الآخرة ، وإن اتباع الهوى يصد عن الحق ، وإن الدنيا قد ارتحلت مدبرة والآخرة مقبلة ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب ، وغداً حساب ولا عمل .

سفيان بن عيينة قال - أخبرنا رجل قال : قيل للحسن في شيء

قاله : يا أبا سعيد ما سمعت أحدًا من الفقهاء يقول هذا ، قال : وهل رأيت فقيها قط ، إنما الفقيه الزاهد في الدنيا ، الراغب في الآخرة ، الدائب في العبادة قال : وما رأيت فقيها قط يدارى ولا يمارى ، ينشر حكمة الله فإن قبلت حمد الله وإن ردت حمد الله .

ابن سعد أن حفصة قالت لعمر ألا تلبس ثوبًا ألين من ثوبك وتأكل طعامًا أطيب من طعامك هذا ؟ فقد فتح الله عليك الأرض وأوسع عليك الرزق ، قال سأخصمك إلى نفسك ، فذكر أمر الله رسول الله ﷺ ، وما كان يلقى من شدة العيش ولم يزل يذكر حتى بكيت ثم قال عمر لأشركنها في مثل عيشهما الشديد لعل أدرك معهما مثل عيشهما الرخي .

علقمة بن عبد الله قال : اضطجع رسول الله ﷺ على حصير فأثر الحصير بهجلده فلما استيقظ جعلت أمسح عنه وأقول : يا رسول الله ! ألا آذنتني قبل أن تنام على هذا الحصير ، فأبسط لك عليه شيئًا يقيه منه ؟ فقال رسول الله ﷺ : ما لي وللدنيا ، وما للدنيا ولي ، ما أنا والدنيا إلا كراكب استظل في فيء أو ظل شجرة ثم راح وتركها .

المستورد بن شداد أحد بني فهر ، قال : كنت في الركب الذين وقفوا مع رسول الله ﷺ على السخلة الميتة ، فقال رسول الله ﷺ : أترون هذه هانت على أهلها حتى ألقوها ؟ قالوا : من هوانها ألقوها يا رسول الله ! قال : فاللنيا أهون على الله من هذه على أهلها .

مسلمة قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز بعد صلاة الفجر في بيت كان يخلو فيه بعد الفجر فلا يدخل عليه أحد فجاءته الجارية

بطبق عليه تمر صيحاتي . وكان يعجبه التمر فرفع بكفيه منه ، فقال :  
يا مسلمة ! أترى لو أن رجلا أكل هذا ثم شرب عليه من الماء فإن  
الماء على التمر طيب أكان مجزيه إلى الليل ؟ قال : قلت لا أدري فرفع  
أكثر منه ، فقال فهذا ؟ قلت نعم يا أمير المؤمنين ! كان كافيه دون  
ما هذا حتى ما يبالي أن لا يذوق طعامًا غيره ! قال : فعلام تدخل  
النار ؟ قال فقال مسلمة فما وقعت مني موعظة ما وقعت مني هذه .  
خيشمة قال : قال سليمان بن داود صلى الله عليهما : كل العيش  
قد جربناه لينة وشديده فوجدنا يكف منه أدناه .

عن يسار بن نعيم قال : ما نخلت لعمر طعاما قط إلا وأنا له عاص .  
ابن طاووس عن أبيه قال : أجذب الناس عهد عمر فما أكل سمينا  
ولا سمنا حتى أكل الناس .

الحسن قال : قال عمر بن الخطاب : لا تنخلوا الدقيق فإنه طعام  
كله .

أنس بن مالك قال : لقد رأيت بين كفتي عمر أربع رقاع في  
قميصه .

عن عامل لعمر كان على أذرعان قال : قدم علينا عمر بن الخطاب  
وإذا عليه قميص من كرايس فأعطانيه فقال : اغسله وارقعته ، قال  
فغسلته ورقعته ثم قطعت عليه قميصًا فأتيته بهما فقلت : هذا قميصك  
وهذا قميص قطعت عليه لتلبسه . فمسحه فوجدته لنا فقال : لا حاجة  
لنا فيه هذا أنشف للعرق منه .

مالك بن دينار عن الحسن أن عمر بن الخطاب كان في إزاره اثنتا  
عشرة رقعة بعضها من آدم .

هشام بن عروة عن ابيه قال : قال عمر بن الخطاب في خطبته :  
تعلمون أن الطمع ققر ، وأن الأياس غنى ، وأنه من أيس مما عند الناس  
استغنى عنهم .

شداد بن الهاد قال : رأيت عثمان بن عفان يوم الجمعة على المنبر  
عليه إزار علني غليظ ثمنه أربعة دراهم أو خمسة ، وريطة كوفية  
ممشقة ضرب اللحم يعني خفيف اللحم طويل اللحية حسن الوجه .

## متنائرات

روى ابن المبارك بسنده عن : أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : إذا أراد الله بعبد خيراً : استعمله ، قالوا : يا رسول الله : وكيف يستعمله ؟ قال يوفقه لعمل صالح قبل موته .

حسان بن عطية قال - قال الله : لا ينجو منى عبدى إلا بأداء ما اقترضه عليه ، وما يرح عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، وما تقرب إلى بشيء أفضل من النصيحة ، فإذا فعل ذلك كنت قلبه الذى يعقل به ، ولسانه الذى ينطق به ، وبصره الذى يبصر به ، أجبته إذا دعانى ، وأعطيته إذا سألتنى ، وأغفر له إذا استغفرنى .

عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : من يمن المرأة تيسير خطبتها وتيسير صداقها .

الحسن قال : لا يزال العبد بخير ما كان له واعظ من نفسه .  
مطرف بن عبد الله بن الشخير قال : لأن أبيت نائماً وأصبح نادماً أحب إلى من أن أبيت قائماً وأصبح معجباً .

ابن هبيرة ، أن الأواب الحفيظ الذى إذا ذكر خطاياہ استغفر الله عنها ..

مجاهد عن عبيد بن عمير قال : الأواب الحفيظ الذى يذكر الذنب فيتوب منه .

عمرو بن ميمونة الأودى قال - قال النبي ﷺ لرجل وهو يعظه :

اغتمت خمسمًا قبل خمس ، شباهك قبل هرمك ، وصحك قبل سقمك ،  
وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك .  
أُتس بن مالك أن النبي ﷺ قال : إن الله لا يظلم حسنة يثاب  
عليها الرزق في الدنيا ويجزي بها في الآخرة .

ابن عمر أنه كان يتسول حين يريد النوم وبكرة وحين يصبح .  
معقل بن يسار قال : كان أول ما عرفت عامر بن عبد العنبري إني  
رأيت فوصف لي قريبا من رحية بنى سليم وهو على دابة ورجل من  
أهل الذمة يظلم ، فنهى عنه ، فلما قال كذبتهم ، والله لا تظلم ذمة الله  
البرم وأنا شاهد ، وقال : فتخلصه ، فلما كان بعد ذلك أتته في  
منزله ، وكان الناس يقولون إن عامر لا يأكل السمن ولا يأكل اللحم  
ولا يتزوج النساء ، ولا تمس بشرته بشرة أحد ، ويقول إني مثل  
إبراهيم ، فلما دخلت عليه أخرج يده من تحت برنس حتى أخذ  
بيدي ، فقلت هذه واحدة ، فلما تحدثنا قلت إن الناس يقولون إنك  
لا تأكل اللحم ولا تأكل السمن ، ولا تزوج النساء ، وتقول إني مثل  
إبراهيم ، قال : أما قولهم إني لا آكل اللحم ، فإن هؤلاء ، قد صنعوا  
في الذبائح شيئا لا أدري ما هو ؟ فإذا اشتهيت اللحم أمرنا بشاة  
فاشترت لنا فذبناها وأكلنا من لحمها ، وأما قولهم إني لا آكل السمن ،  
فإني لا آكل من ههنا وآكل ما يجيء ههنا ، وأما قولهم إني لا أتزوج  
النساء فإنما هي نفس واحدة لقد كادت أن تغلبنى ، وأما قولهم : إني  
مثل إبراهيم ، فإني قلت : إني لأرجو أن يجعلني الله مع النبيين  
والصديقين والشهداء والصالحين .

سليمان بن حميد أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عبد الملك بن

عمر يعني ابنه إنه ليس أحد من الناس رشده وصلاحه أحب إلى من رشدك وصلاحك إلا أن يكون والى عصاة من المسلمين ، أو من أهل العهد يكون لهم في صلاحه مالا يكون لهم في غيره ، أو يكون عليهم من فسادهم ، مالا يكون عليهم من غيره .

سليمان التميمي قال سمعت أنسًا يقول : كنت قائمًا على الخبي أسقيهم عمرتي وأنا أصغرهم - فقيل : حرمت الخمر ، فقال : اكفأها فكفأناها قلت لأنس : ما شرابهم ؟ قال : رطب وسر .

ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ .

عائشة عن النبي الله قال : لا وفاء ينذر من معصية الله ، وكفارته كفارة يمين .

محمد بن زياد عن أبي عزة الخولاني ، أنه كان في مجلس خولان في المسجد جالسًا فخرج عبد الله بن عبد الملك هاربا من الطاعون فسأل عنه فقالوا : خرج يتزحزح هاربا من الطاعون ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ما كنت أرى أني أبقي حتى أسمع بمثل هذا ، أفلا أخبركم عن خلال كان عليها إخوانكم ؟ أولها لقاء الله كان أحب إليهم من الشهيد ، والثانية لم يكونوا يخافون عدا قلوبا أو كثروا ، والثالثة لم يكونوا يخافون عوزا من الدنيا ، كانوا واثقين بالله أن يرزقهم ، والرابعة إن نزل بهم الطاعون لم يرحوا حتى يقضى الله فيهم ما قضى . سالم عن أبيه قال : أكثر ما رأيت النبي ﷺ يحلف بهذا اليمين . لا ومقلب القلوب .

سالم بن أبي الجعد قال : سأل رجل ابن عباس عن رجل قتل مؤمناً متعمداً ثم تاب وآمن وعمل صالحاً ، ثم اهتدى ، قال : وأنى له الهدى ؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول : يجيء المقتول يوم القيامة متعلقاً بالقاتل تشخب أو داجه دما فيقول : يارب سل هذا لم قتلني ؟

سعيد بن المسيب قال : من جلس في المسجد - وقال ابن حيوية : من جلس في المجلس - فإنما يجالس ربه قال محمد بن مسلمة فما حقه أن يقول إلا خيراً .

مكحول قال - قال رسول الله ﷺ : من أخلص لله العبادة أربعين يوماً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه .

عائشة رضي الله عنها قالت - قال : رسول الله ﷺ : إن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل ، فكانت عائشة إذا عملت عملاً داومت عليه .

حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب أن عمر بن الخطاب قال : خذوا بحظكم عن العزلة .

أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ : كان يخطب يوم الجمعة ويسند ظهره إلى خشبة ، فلما كثر الناس قال : ابنوا لي منبراً ، فبنوا له منبراً إنما كان عتبتين ، فتحول من الخشبة إلى المنبر فحنت والله الخشبة حين الوله ، فقال أنس : أنا والله في المسجد أسمع ذلك ، والله ما زالت تحن حتى نزل رسول الله ﷺ من المنبر ومشى إليها فاحتضنها فسكت ، فبكى الحسن وقال : يامعشر المسلمين الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقاً إليه ، أفليس الرجال الذين يرجون لقاءه أحق أن يشتاقوا إليه ؟

رفاعة الجهني - واللفظ لابن المبارك - قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بالكديد أو قال بقديد جعل رجلا منا يستأذنون إلى أهلهم فيأذن لهم ، وحمد الله ، وقال ابن صاعد في المرة الثانية وأثنى عليه - وقال خيرا وقال أشهد عند الله لا يموت عبد يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله صادقاً من قلبه ثم سدد ، إلا سلك به في الجنة ، وقد وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب ، وإني لأرجو أن لا يدخلوها حتى تبوراً أتم ومن صلح من أزواجكم وذرياتكم مساكن في الجنة ، وقال : إذا مضى نصف الليل ، أو قال ثلث الليل ينزل إلى السماء والدنيا فيقول : لا أسأل عن عبادي غيري ، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له ، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له ، من ذا الذي يسألني فأعطيه حتى ينفجر الصبح .

أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : من بات طاهراً بأن في شعاره ملك لا يستيقظ ساعة من الليل إلا قال الملك : اللهم اغفر لعبدك فلان ، فإنه بات طاهراً .

الزهري قال : قال لي عبد الملك بن مروان عن الحديث الذي جاء النبي ﷺ من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة وإن زنى وإن سرق قال فقلت له : أين يذهب لك يا أمير المؤمنين هذا قبل الأمر والنهي وقبل الفرائض .

عن نافع سمعت ابن عمر سمعت النبي ﷺ يقول : كل مسكر حرام .

الزهري قال : بلغنا أنه أتى النبي ﷺ ملك لم يأتها قبلها ، ومعه

جبرائيل صامت : إن ربك يخبرك بين أن تكون نبياً ملكاً ، أو نبياً عبداً ، فنظر إلى جبرائيل كالمستأذن فأشار إليه أن تواضع فقال رسول الله بل نبياً عبداً ، فقال الزهري : فرعموا أن النبي ﷺ لم يأكل منذ قالها متكماً حتى فارق الدنيا ، قال ابن صاعد : وقد روى هذا الحديث الزبيدي عن الزهري .

صلة بن أشيم العدوي قال : خرجت في بعض قرى نهر نيري أسير على دابتي في زمان فيوض الماء ، فأنا أسير على سناة ، فسرت يومي لأجد شيئاً آكله ، واشتد علي ، فلقيني عالج يحمل على عنقه شيئاً ، فقلت ضعه ، فوضعه فإذا هو جبن ، فقلت أطعمني منه ، فقال نعم إن شئت ولكن فيه شحم خنزير ، فلما قال ذلك تركه ومضيت ، ثم لقيت آخر يحمل على عنقه طعاماً فقلت له أطعمني ، فقال هذا تزودت هذا كذا وكذا من يوم ، فإن أخذت منه شيئاً أضرت بي ، وأضعنتي فتركه ثم مضيت ، فوالله إني لأسير إذ سمعت خلفي وجبه كخوايه الطير يعني صوت طيرانه ، فالتفت فإذا شيء ملفوف في سب أبيض أي خمار ، فنزلت فإذا دونه من رطب في زمان ليس في الأرض رطبة ، فأكلت منه ، فلم أكل رطباً قط أطيب منه . وشربت من الماء ثم نفقت ما بقي وركبت الفرس ، وحمدت نواهن معي فحدثني عوف بن دهم قال : فرأيت ذلك السب مع امرأته ملفوفاً فيه مصحفها ثم فقد بعده ، فلا يدرون سرق أم ذهب ، أم ما صنع به .

عن المقداد بن معد يكرب قال - سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه بحسب ابن آدم أكل يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة فثلث طعام ، وثلث شراب ، وثلث لنفسه .

## الفضل الخامس

### من حكمه ومواعظه وتوجيهاته

إن لابن المبارك من الحكم والمواعظ والتوجيهات الكثير ، اقتصرنا منها على قدر يسير ، وذلك أن المجال المستفيض لدراسة هذه النواحي عند ابن المبارك إنما هو في روايته المستفيضة للأحاديث وهو لم يقتصر في هذه الروايات على أحاديث رسول الله ﷺ وإنما روى الكثير من حكم الحسن البصرى وغير الحسن البصرى من أفاضل الأمة الإسلامية ، ورواياته هذه إنما هي مختارات ، ولقد مثل مرة : هل تشتغل بحفظ الآثار فقال : إننى لا أشغل نفسى بحفظ شيء ، وإنما أنظر فى الكتب فما استحسنته نقش فى صدرى .

إن رواياته إنما هي اختيار له ، واختيار المرء قطعة من عقله ، ومن شعوره ووجدانه ، إنما طابعه وخلقه - ولقد استفضنا فى الرواية عنه فى مجال الآثار ، وفى ذلك غناء عن الاستفاضة وفى إيراد حكمه ومواعظه ، وها هي ذى بعض حكمه ومواعظه وتوجيهاته :

عن ابن المبارك أنه سأله رجل عن الرباط فقال : رباط بنفسك على الحق حتى تقيمها على الحق ، فذلك أفضل الرباط .

وكان يقول : كيف يدعى رجل أنه أكثر علماً وهو أقل خوقاً وزهداً.

وكان يقول : من ختم نهاره بذكر ، كتب نهاره ذاكراً ، وكان

يتحرى هذا العمل .

وكان يقول : رب عمل صغير تعظمه النية ، ورب عمل كبير  
تعظمه النية .

وكان رضى الله عنه يتمثل بهذين البيتين من كلامه :  
وهل بدل الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها  
لقد رتع القوم فى جيفة بين لذى العلم إلتانها  
وكان رضى الله عنه يقول : مسكين ابن آدم قد وكل به خمسة  
أملاك : ملكان بالليل ، وملكان بالنهار ، يجيعان ويذهبان والخامس  
لا يفارقه ليلا ولا نهاراً ، وكان إذا اشتهى شيئاً لا يأكله إلا مع ضيف .  
وكان ينشد إذا ودع شخصاً :

وهون وجدى أن فرقة بيننا فراق حياة لا فراق ممات  
وسئل عبد الله : ما ينبغي أن يجعل عظمة شكرنا له ؟ قال زيادة  
آخرتكم ونقصان دنياكم ، وذلك أن زيادة آخرتكم لا تكون إلا بنقصان  
دنياكم وزيادة دنياكم لا تكون إلا بنقصان آخرتكم .  
وعن عبد الله بن المبارك قال : حب الدنيا فى القلب والذنوب  
أحوشته ، فمتى يصل الخير إليه ؟ .

قال ابن المبارك : إذا عرف الرجل قدر نفسه يصير عند نفسه أذل  
من الكلب .

وكان يقول : كن محباً للخمول كارهاً للشهرة ولا تحب من نفسك  
أنك تحب الخمول فترفع نفسك .

وقال عبد الله بن المبارك : ودعنى ابن جريح فقال : استودعك الله إن  
كنت للمأموناً .

قال : وودعني ابن عوف فقال : إن استطعت أن تكون مهتاراً  
بذكر الله فكن .

قال عبد الله بن المبارك : لو أن رجلين اصطحبا في الطريق ، فأراد  
أحدهما أن يصلي ركعتين ، فحركهما لأجل صاحبه ، كان ذلك رياء ،  
وإن صلاهما من صاحبه فهو شرك .

عن ابن وهب قال : رأى رجل سهيل بن علي في المنام فقال :  
ما فعل بك ربك ؟ قال : نجوت بكلمة علمنيها ابن المبارك ، قلت  
له : ما تلك الكلمة ؟ ، قال : قول الرجل يارب عفوك عفوك .

عن عبدالله بن المبارك ، عن أبي بكر بن عياش قال : اجتمع أربع  
ملوك ملك فارس ؛ وملك الروم ، وملك الهند ، وملك الصين ،  
فحكّموا بأربع كلمات كأنما رمى بهن عن قوس واحدة ، فقال  
أحدهم : أنا على قول ما لم أقدر مني على رد ما قلت ، وقال الآخر  
إذا قلتها ملكني ، وإذا لم أقدر ملكتها . وقال الآخر : لا أندم على  
ما لم أقل ، وقد أندم على ما قلت ، وقال الآخر عجبت لمن يتكلم  
بالكلمة إن رفعت عليه ضرته وإن لم ترفع عليه لم تنفعه .

عن عبدالله بن المبارك عن أنخبره قال : قدم وفد من وفود العرب  
على معاوية فقال لهم : ما تعدون المروءة فيكم ؟ :

قالوا : العفاف في الدين ، والإصلاح في المعيشة .

فقال معاوية : أسمع يا يزيد .

قال رجل لابن المبارك : بقي من ينصح ؟ قال فهل بقي من يقبل ؟ .  
وكان يقول : كاد الأدب أن يكون ثلثي الدين .

وقيل له إن جماعة من أهل العلم يأخذون من الناس الزكوات .

فقال : فما نضع . إن منعناهم وقفوا عن طلب العلم ، وإن رخصنا لهم حصلوا العلم وتحصيل العلم أفضل .  
وكان يقول : لأن أرد درهما من شبهة أحب إلى من أن أتصدق بستمائة ألف ألف .

وقيل له : ما التواضع ؟ قال التكبر على الأغنياء .  
وذكر لعبدالله ما كان عليه يوسف بن أسباط من العبادة ، فقال :  
لقد ذكركم قوما يستشفى بذكرهم ، ولكن إن فعل الناس جميعهم ذلك ، فمن لسن رسول الله ﷺ .  
وعن الوليد بن عقبة قال : قال عبدالله بن المبارك طلبنا الأدب حين فاتنا المؤدبون .

عن أبي أمية الأسود قال : سمعت عبدالله بن المبارك يقول :  
أحب الصالحين ولست منهم ، وأبغض الطالحين وأنا شر منهم .  
ثم أنشد عبد الله يقول :

الصمت أزن بالفتى	من منطلق في غير حينه
والصدق أجمل بالفتى	في القول عندي من يمينه
وعلى الفتى بوقاره	سمة تلوح على جبينه
فمن الذى يخفى عليك	إذا نظرت إلى قرينه
رب امرئ متيقن	غلب الشقاء على يقينه
فأزاله عن رأيه	فاتباع دنياه بدينه

قام رجل إلى ابن المبارك فقال : يا أبا عبد الرحمن فى أى شىء أجعل فضل يومى ، فى تعلم القرآن ، أو فى طلب العلم ؟ فقال : هل

تقرأ من القرآن ما تقيم به صلاتك ؟ قال بنعم ، قال : فاجعله في طلب العلم الذي يعرف القرآن .

عن الحسين بن الحسن المروزي ، قال سمعت ابن المبارك يقول : أهل الدنيا خرجوا من الدنيا قبل أن يتطعموا أطيب ما فيها ، قيل له : وما أطيب ما فيها ؟ قال : المعرفة بالله عز وجل .

حدثنا أبو بكر الصوفي عن بعضهم قال : ورد على أمير المؤمنين الرشيد كتاب صاحب الحيرة من هيت أنه مات رجل بهذا الموضع غريب ، فاجتمع الناس على جنازته ، فسألت عنه فقالوا : عبد الله بن المبارك الخراساني ، فقال الرشيد : إنا لله وإنا إليه راجعون ، يا فضل - للفضل بن الربيع وزيره - اذن في الناس من يعذرننا في عبد الله بن المبارك ، فأظهر الفضل تعجبا ، فقال : ويحك ! إن عبد الله هو الذي يقول :

الله يدفع بالسلطان معضلة عن ديننا رحمة منه ورضوانا لولا الأئمة لم يأمن لنا سبل وكان أضعفنا نهبا لأقربانا من سمع هذا القول من مثل ابن المبارك مع فضله وزهده وعظمه في صدور العامة ، ولا يعرف حقنا .

عن عبد الرحمن بن عبيد الله يقول : كنا عند الفضل بن عياض فجاء فتى - في شهر رمضان سنة إحدى وثمانين - فنعى إليه ابن المبارك ، فقال : رحمه الله ، أما إنه ما خلف بعده مثله .

وكان رضى الله عنه يقول : ما بقى في زماننا أحد أعرف أنه يأخذ النصيحة بانسراح قلب وقيل له : كيف تعلم الملائكة أن الإنسان قد هم بحسنة ؟ فقال رضى الله عنه : يجدون ريحها .

وكان رضى الله عنه يقول : أربع كلمات انتخبني من أربعة آلاف  
حديث لا تثقن بامرأة ، ولا تغترن بجمال ، ولا تحمل مصرتك ما لا تطيق  
وتعلم من العلم ما ينفعك فقط .

وهن سعيد بن داود يقول سألت ابن المبارك : من الناس ؟ قال  
العماء ، قلت فمن الملوك ؟ قال الزهاد ، قلت : فمن السفلة ؟ قال  
الذين يعيشون بدينهم .

## المراجع

- كتاب الزهد والرفائق - لابن المبارك - تحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي  
كتاب الجهاد - تحقيق الأستاذ نزيه حماد  
عبدالله المبارك - تأليف الدكتور عبد المجيد المحسب  
عبدالله المبارك - تأليف فضيلة الشيخ أبو الوفا المرعي  
حلية الأرياء - لأبي نعيم  
صفة الصفوة - لابن الجوزي  
تاريخ بغداد - للخطيب البغدادي  
الكواكب الدرية - للامام المناوي  
وفيات الأعيان - لابن خلكان  
الطبقات الكبرى - للشعراي



## الفهرست

الصفحة	
٧	الفصل الأول : تقدير ابن المبارك
١٩	الفصل الثاني : حياة ابن المبارك
٢٢	ابن المبارك والعلم
٢٤	خلوة ابن المبارك علمية
٢٦	ابن المبارك عالم اتباعى
٣٠	ابن المبارك والورع والزهد
٣٢	تواضعه
٣٢	التاجر الثرى
٤٩	الفصل الثالث : الجهاد والمجاهد
٨١	الفصل الرابع : المحدث والمحدث
٨١	لمحدث
	من مؤهلات السنة
٨٦	١ - الاخلاص
٨٦	٢ - الذاكرة القوية
٨٧	٣ - حب السنة
٨٨	٤ - التحرى
٩٢	١ - فى القرآن
١٠٧	٢ - فى الإسلام
١٠٩	٣ - فى الإيمان

الصفحة

١١٤	.....	٤ - في الآخرة
١١٩	.....	٥ - في العلم
١٢٣	.....	٦ - في الصلاة
١٣٢	.....	٧ - في الصدقة
١٣٦	.....	٨ - في الصوم
١٣٨	.....	٩ - في الحج
١٣٩	.....	١٠ - في الذكر
١٤٧	.....	١١ - في الدعاء
١٥٠	.....	١٢ - في الأخلاق
١٦٣	.....	١٣ - في الزهد
١٦٧	.....	متناثرات
١٧٣	.....	الفصل الخامس : من حكمه ومواعظه وتوجيهاته
١٧٩	.....	المراجع
١٨١	.....	محتويات الكتاب

رقم الإيداع	١٩٩٥/٤٨٩٧-
التراجم الدولي	ISBN 977-02-4973-4

١/٩٣/٦٥

طبع مطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

جاء رجل لسأل صفيان الثوري عن مسألة ..  
فقال له : من أين أنت ؟ فقال : من أهل  
المشرق .. قال : أو ليس عندكم أعلم أهل  
المشرق ؟ .. قال : ومن هو يا أبا عبد الله ؟  
قال : عبد الله بن المبارك .. قال : أهر أعلم أهل  
المشرق ؟ قال : نعم .. وأهل المغرب :

٣١٤٩٦



دارالمعارف

To: [www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com)